شيطان الغضب

رواية

هدى عامر

obeikandl.com

سلسلة رؤى من إصدارات يسطرون

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

الإشراف الأدبى

صالح شرف الدين

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : شيطان الغضب
المؤلف : هدى عامر
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم وإخراج : سلسلة رؤى
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٨٥٣٣ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 585 - 5

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١١٥١٠٤٧٦٥٦ - ٠١٢٨٣٦٢٢٩٧٢
Email : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

obeikandl.com

المقدمة

إن روايتي هذه التى أسميتها شيطان الغضب ربما يكون فى بعض جوانبها شيء من الواقع.. خاصة معاناة المعتدى عليه من بشاعة الاعتداء مع الأخذ فى الاعتبار اختلاف المكان،والزمان والأشخاص ...

وأهمس هنا فى أذن كل من تسول له نفسه أن يظلم إنساناً، أى إنسان مهما كان عليه أن يتذكر أن يد الله أعلى وأن قدرته فوق كل القدرات كما يعلم أننا لسنا وحدنا فى هذه الحياة، وأن الله ناصر الحق فى كل زمان وأوان.

هدى عامر

obeikandl.com

التقديم

الروح المصرية بين القدرية والميتافيزيقية

بقلم :المستشار :صالح شرف الدين

عضو اتحاد الكتاب

- مما لاشك فيه أن من يعيشون في وديان الأنهار، وعلى شواطئها لهم من الميزات ما يميزهم عن الذين يعيشون في الصحاري أو في رؤوس الجبال ...
- وهذه السمات رسخت عبر آلاف السنين من الاستقرار، وبناء المدن، والاعتماد على الزراعة، ووجود نظم اجتماعية تحكم العلاقة بين الأفراد ومن ثم الإيمان بوجود إله، ووجود فلسفة للحياة، والإحساس بالاكتفاء الذاتي، والثقة في القدرة على النجاح، والارتباط بالأرض وقوة الدفاع عنها، وعدم الاستسلام لمغتصب أو محتل، هذه الصفات النبيلة وغيرها كثير هي التي يندهش بعض الأجانب

مـن وجودهـا في جينـات مـن عاشـوا وعـاش آباؤهـم وأجدادهـم في أوديـة الأنهـار الخصبة-هـذه الصفـات لعبـت دور البطولـة في هـذه الروايـة للكاتبـة هـدى عامـر التـي كتبـت قبلهـا عـدة روايـات- أن تتعـرض لـشر فظيـع مـن أقـرب الأقـارب إليـك، وأن تحـدث لـك مـآسي تلـو المـآسي مـن كائنـات توحشـت حولـك، وكائنـات غيبيـة تـكاد تفتـك بـك

- أن يحـدث هـذا، وتصمـد، وتتحمـل، وتنجـح، ويشـير النـاس إليـك بالبنـان فهـذه درجـة عاليـه مـن درجـات البطولة،وتشـير إلى إيـمان راسـخ بـأن وراء كل محنـة منحـة، وأن الحيـاة تسـتمر، ولايبقـى شيء عـلى حالـه سـواء أفـراح أو أتـراح

- لقـد اسـتخدمت الكاتبـة في سردهـا لأحـداث الروايـة التـي تقـع في حـوالي مائـة صفحـة ونيـف، وقسـمتها إلى سـبعة عـشر فصـلا، ولـكل فصـل عنـوان، اسـتخدمت أسـلوب السـارد العليـم، والارتـداد للخلـف، والحـوار الداخـلي، والتحليـل النفـسي، والتفاصيـل الدقيقـة، بلغـة فصيحـة سـهلة، ونجحـت في التشـويق، وإثـارة الذهـن خصوصـا وصفهـا الدقيـق لعلاقـة الإنسـان ببعـض الغيبيـات، وأثـر ذلـك عليـه جسـميا ونفسـيا ..

- إن تعدد شخوص الرواية، وامتداد الزمان والمكان، والحبكة الفنية لها، والقيم الحياتية النبيلة التي أصرت على ألا تخفيها بين السطور، يجعلنا نحتفي بهذه الرواية التي ترسخ للروح المصرية العريقة، وترفض كل ما طرأ عليها من تشوهات، تحذر من الظلم وسوء نهاية الظالمين، وتعلي من قدر الوفاء والعطاء، وحسن الخلق وتجعلها سبيل النجاح، هذا الأنموذج المثالي قدر مصر وواجب أبنائها ؛ فعليهم الصبر والصمود وعدم اليأس من النجاح..

ومع أطيب أمنياتنا للأديبة، نتمنى أن نسعد بالاطلاع على إبدعاتها المستقبلية، والله الموفق

القاهرة :يناير ٢٠١٨م

obeikandl.com

obeikandl.com

هروب

حضرت السيدة إلى هذا البيت لتعيش فيه رغم أنه يبعد عن المدينة مسافات كبيرة وأيضاً يبعد عن الناس والصحبة، والطريق الذى يؤدى إلى الربوة التي عليها المنزل طريق وعر مظلم مخيف يأوى إليه كل هارب من القانون ويمتنع المارة عن المرور به ليلاً لانتشار قطاع الطرق به. وكان سبب وجود السيدة التي تدعى دولت فى هذا المكان المعزول عن المدينة أن المنزل ورثته عن عمها الذى رباها بعدما توفى والدها الذى كان يكبره بعدة أعوام، فانكفأ العم على تربية ابنة أخيه وشملها بالرعاية والحنان والحب والثقافة والتعليم والإيمان وأشرف على كل خصوصياتها حتى تزوجت وأنجبت سليم الجميل والمدلل باسم سولى. كان عم دولت أعزباً ليس له وريث وقبل وفاته كتب كل ما يملك لدولت فى سرية تامة لعلمه بسلوك زوجها المشين الذى اختارته بنفسها رغم أنه عارض هذا الزواج لكن فى النهاية نزل على رغبة ابنة أخيه التى يحبها كثيراً ولم يرفض لها طلبا، وقبل وفاته أوصى المحامى عندما يطلع

دولت على هذا الميراث أن يكون حذراً ولا يخبرها بالميراث أمام زوجها، وآلت ملكية هذا المنزل المنعزل لدولت مع مبلغ لا بأس به فى البنك .

إن دولت سيدة مثقفة متزنة صبورة تحملت إهانات لا حصر لها من زوجها مما جعلها تفر إلى جنوب البلاد مع طفلها هاربة من وحشيته، كان والد سليم رجلاً فظاً سكيراً غير سوى وهو الشيء الذى لم تكتشفه دولت إلا بعد زواجها، طُرد من عمله بسبب سلوكه غير الأخلاقي فاتجه إلى سلب ونهب كل ما بيد زوجته بالضرب والسب والقهر حتى أثاث المنزل لم يسلم منه إذا رفضت أن تعطيه مرتبها الذى تكدح من أجل الحصول عليه كان يستعمل معها كل الأساليب القذرة الدنيئة حتى يحصل عليه ويخسره على مائدة القمار و نزواته ومع كل هذا كانت تعمل بكل جد لكي توفر حياة كريمة لابنها سولى . كان كل خوفها على ابنها الذى يرى أفعال والده الشرسة أمام عينيه ويرى دموع أمه وعذابها، الشيء الذى جعله يكره والده ويتمنى أن يترك هذا الأب إلى الأبد . ولم يسلم سليم من قسوة والده ففي كل مرة يضرب فيها الأم كان يركل ابنه بأقدامه حتى تستسلم دولت وتعطيه ما يريد . وفى أحد الأيام التي كانت تعانى فيها دولت من الصداع نتيجة حزنها وآلامها وبينما زوجها فى حانات الخمر والقمار

دق جرس الباب دقات متتالية وتحاملت دولت على نفسها وفتحت الباب ووجدت محامى عمها الذى تعرفه جيداً وكانت فرحة دولت لا حدود لها وكأنها رأت عمها فى وجه هذا المحامى وكأن الله أرسله ليأخذ بيدها وينتشلها من هذه الحياة التعيسة ولما علم المحامى بما يحدث لها غضب من أجلها ومن حياة الذل التي فرضت عليها واجتهد المحامى فى تهدئة دولت وطيب خاطرها وقال لها أتيتك بخبرين أحدهما محزن والآخر هو ملاذك من هذه الحياة، الخبر الأول هو موت عمك رحمة الله عليه وأرجو أن تتشجعي فالدوام لله واضطربت دولت للخبر المحزن وكان موت عمها صدمة كبيرة لها بكت وانتحبت وصرخت، صرخت حتى هدأت قليلا بعدما قرأت آيات من القرآن الكريم رحمة على روح عمها الطاهرة، وقال المحامى أما الخبر الثانى هو ما تركه عمك من ميراث لقد آلت ملكية المنزل الذى يقع فى جنوب البلاد والمال وكل ما يملكه عمك لك . وقالت دولت للمحامى أرجوك لا تتكلم أمام زوجى بشأن هذا الميراث حتى لا يسلبنى إياه ويصرفه على أهوائه الدنيئة وابتسم المحامى وربت عليها ثم قال هذه أيضا وصية عمك يا بنيتى فلا تقلقى .

أخفت دولت هذا الحدث عن زوجها تماما وبدأت تفكر جديا فى هجر هذا الزوج والهروب منه إلى الأبد فهى الآن

تملك من المال ما يسد احتياجها ويسعدها كما أصبحت تملك المأوى لها ولصغيرها بيت آمن أحبت كل ركن فيه ما عدا الطريق المؤدى للبيت والمنطقة الخطرة بها قطاع الطرق واللصوص أخذت تتذكر كل شيء بالبيت عشش الدواجن والأوانى وأحواض الزرع وأشجار الفاكهة ونقاء الجو وصفائه والطبيعة الخلابة ثم تذكرت عمها وطيبته عندما كانا يعملان سويا فى تنظيم المكان . تنهدت دولت ثم رفعت عيناها للسماء تشكر الله على كل هذا الكرم الذى أغدقه عليها وقالت بصوت مرتفع: وبشر الصابرين .

وضعت دولت خطة هروبها، وفى أحدى الليالى عندما بدأ زوجها يستعد للخروج أعطته من حقيبتها النقود التي معها دون أن يسألها وقال لها هكذا إذاً أخيراً عرفتى أن الله حق، قالت فى هدوء طبعا والبركة فيك . تصرفت دولت على هذا النحو ليذهب عنها دون أن يؤذيها فهى فى حاجة ماسة لكل قواها لتأخذ الخطوة الأولى فى الهروب . وتتسلل من هذا البيت فى هدوء ودون خوف . وبعد خروجه مباشرة اتصلت تليفونيا بموقف التاكسى الذى حضر فى الحال حسب طلبها

خرجت دولت توسع الخطى وهى تمسك بيد سليم متجهة إلى التاكسى ووضعت طفلها خلف السائق وعادت مرة أخرى إلى البيت وجذبت الحقيبة جذبا وساعدها

السائق عندما رآها تتأرجح يمينا وشمالا من ثقل الحقيبة ثم جلست فى توتر بجوار الطفل وطلبت من السائق أن يسرع لأنها فى عجلة من أمرها وفى لمح البصر كانت السيارة تشق الشوارع والازدحام لتصل دولت إلى العاصمة وأغدقت على السائق أجره وارتجلت إلى أحد الأسواق واشترت كل ما تحتاجه من طعام ولحوم وأسماك وفواكه وعصائر وماء وخبز وفطائر تكفيها لوقت طويل لأنها تعرف أن أقرب سوق للشراء على بعد ٥٠ كيلومتر من المنزل فوق الربوة وستكون وحيدة فى عزلتها التي فرضت عليها. سألت أحد العاملين بالسوق أن يأتيها بتاكسى ووضع لها كل أشيائها، وطلبت دولت من السائق أن يسرع بها إلى محطة القطار الذى استقلته إلى آخر محطة.

كان كل هم دولت أن لا يتبعها أحد ويعرف وجهتها أو أن يراها أحد ممن يعرفون زوجها ويبلغه بمكانها وهذا ما جعلها تنزل فى العاصمة وتستبدل التاكسى بآخر ثم تستقل القطار كنوع من التمويه وصعدت هى وسليم إلى عربات النوم فى القطار وتناولت مع ابنها بعض الفواكه والشاى والحليب وتمددا فى السرير ثم ناما نوما عميقاً هادئاً . وبينما أخذت عجلات القطار تسرع فوق القضبان كأنها تساعد دولت وسليم في الهروب من عذابهما وقسوة حياتهما فى أسرع وقت ممكن وعند الفجر وصل القطار إلى

المكان المنشود وانتظرت دولت بالمحطة حتى ظهر قرص الشمس فى السماء وابتدأ ضوء نهار جديد يملأ المكان وبسرعة استقلت دولت سيارة أخرى وطلب السائق مبلغاً كبيراً لبعد المسافة وصعوبة الطريق المؤدى إلى المكان الذى تريده، ووافقت دولت فى الحال وتعهدت له بأن تعطيه ما يرضيه .

وأثناء الطريق شعرت دولت بطيبة السائق والتزامه ووجدت فى ملامحه السماحة والإيمان وكان السائق مهذباً معها مما شجعها أن تطلب منه رقم تليفونه إذا احتاجت إلى أى شيء مستقبلا ووعدته أنها ستضاعف له أجره وتجعله راضياً تماما معها وقال السائق أنا فى خدمتك وأثناء سير السيارة أغمضت دولت عينها ثم قرأت جزءا من سورة ياسين وشكرت الله سبحانه وتعالى على ما وصلت إليه كما أنها شكرت الله أيضا أنه ألهمها بأن تنتظر فى محطة القطار حتى شروق الشمس لتتفادى مخاطر الطريق وفجأة قال السائق بصوت مسموع حمدا لله على سلامتكم فقد وصلنا يا سيدتى .

فرحت دولت لسماعها ذلك وتلفتت ذات اليمين وذات اليسار لترى التغيرات آلتي حدثت بالمنطقة ثم قبلت سليم وقالت هانحن وصلنا إلى بيتنا الجديد يا حبيبى . وبدأ السائق يحمل لها الحقيبة وباقي الأشياء وأغدقت

عليه وهي تعطيه أجرته ثم دعا لها بالصحة والسعادة وقال إلى لقاء قريب بإذن الله .

دخلت دولت إلى المنزل وقلبها يرفرف من السعادة لوصولها آمنة إلى بيت عمها كان البيت نظيفا وحالته ممتازة وكل الأثاث الموجود به من الدور الأول حتى آخر دور مغطى بملاءات عليها قليل من الأتربة ذلك لصفاء الجو ونقائه.. كان عم دولت قبل دخوله المستشفى للعلاج قد أوصى الخادم أن ينظم كل شيء كعادته خاصة أنه سيبقى لوقت طويل بها ويريد عند عودته أن يستجم فى بيت نظيف . كما أوصى خادمه ببيع كل الطيور الموجودة خلف المنزل لعدم وجود من يعتنى بها أثناء غيابه . كانت دولت تعلم أن عمها يعشق كل ركن فى منزله وهوايته المفضلة هى هذه الطيور ورعاية الزهور وتنسيق أحواض الزينة .. قالت دولت فى نفسها سوف أرعى كل شيء كما أردت يا عمى الحبيب إكراما لذكراك .

أرجأت دولت عملية تنظيف البيت لحين أخذ قسط من الراحة بعد هذا اليوم الشاق، فأعدت بسرعة وجبة جاهزة من المأكولات التى اشترتها من المدينة وبعد ذلك قامت بتغيير ملاءات السرير لها ولابنها ثم نامت نوما هانئا هادئا لساعات طويلة . بعدما استيقظت تركت سولى فى فراشه وهبطت للدور الأول حيث المطبخ لتعد

الفطـور وجـال بخاطرهـا كلام المحامـى عندمـا قـال لهـا أن عمهـا أوصـاه عـدم ذكـر أى شيء عـن المـيراث أمـام زوجهـا ممـا جعلهـا تبتسـم فى سـعادة لأنهـا سـتعيش فى أمـان فى هـذا المنـزل الـذى كان يعيـش بـه عمهـا كلـما اختـلى بنفسـه بعيـدا عـن الضوضـاء والمشـاكل .

لهـذا السـبب أخفـى ملكيتـه للبيـت عـن كل معارفـه وأقاربـه إلا دولـت وذلـك لأنهـا عاشـت معـه فى طفولتهـا وشـبابها وعندمـا جاءهـا العريـس الـذى اختـاره قلبهـا تـم زواجهـا فى البيـت الكبـير فى القاهـرة والـذى باعـه مـن أجـل مصاريـف علاجـه . قالـت دولـت أيضـا أول شيء بعدما أسـتقر سـوف أسـجل هـذا البيـت باسـم سـليم حتـى يطمئـن قلبـى عليـه، وفجـأة سـمعت دولـت سـليم ينـادى عليهـا أيـن أنـت يـا أمـى، قالـت بلهفـة أنـا هنـا فى الـدور الأول هيـا يـا حبيبـى لتنـاول الفطـور .

جلـس سـليم مـع والدتـه ثـم قـال أراك تحبـى هـذا المـكان جـدا يـا أمـى قالـت إنـه كل ذكرياتـى التـى عشـتها يـا بنـى وهـو أيضـا مـلاذى مـن تعذيـب والـدك لنـا الآن اطمئـن يـا سـليم هـذا البيـت سـيكون باسـمك الأسـبوع القـادم بعدمـا أتصـل بالمحامـى ليقـوم بالـلازم، قبلهـا سـليم واحتضنتـه دولـت بحـب دافـئ وسـعادة كبـيرة وفجـأة قـال سـليم نفـرض يـا أمـى أن والـدى عـرف مكاننـا هـل سـيأتى هنـا ويقـوم

بأفعاله الشنعاء معنا ثانيا قالت دولت لا تقلق يا سليم هذا البيت لا يعلم بوجوده إلا أنا وعمى رحمه الله، اهدأ وانس كل المشاكل وسنبدأ حياة مستقرة بإذن الله . عندما عاد هذا الزوج التعس يوم هروب دولت من المنزل ولم يجدها كان هائجاً كالثور فحطم الأثاث ومزق الملابس ولطم خديه وانطلق يبحث ويسأل ويستقصى عنها فى كل مكان وباءت محاولاته بالفشل ثم ذهب إلى الشرطة وحرر محضراً باختفاء زوجته. وأخذت الشرطة فى السؤال عنها وعن ابنها فى كل مكان سألت الجيران والمحلات والأصدقاء والكل أجمع على سوء أخلاق الزوج ومعاملته القاسية وسلوكه الدنيء وضربه لزوجته وابنه فاتجهت شكوك الشرطة إلى أنه ربما يكون قد تخلص منهما لكن للأسف لا يوجد دليل على ذلك مطلقاً . ومرت الأيام وفقد الزوج الأمل فى الوصول إلى مكان زوجته وابنه إلى أن جاء يوم وكان يجلس بأحد المقاهى يشاهد برنامج الأوائل بالمدارس وهنا وقع المحظور فقد رأى ولده وزوجته فى التلفزيون أثناء تكريم المدرسة لسليم ومنحه شهادة بذلك .

الطريق المهجور

فى لمح البصر دبر الزوج الملعون وتدبر أمره وأعد العدة وسافر للانتقام من زوجته التى هربت منه منذ شهور طويلة لينتقم من دولت التى فى نظره أتعست حياته بهروبها. وهكذا وصل الزوج إلى المدرسة وعرف عنوان المنزل على الربوة العالية وذهب والد سليم إلى البيت وانتظر خلف السيارة يفكر فى شيء برأسه، وأثناء ذلك رأى سليم ودولت قادمين إلى السيارة وبسرعة فتح حقيبة السيارة ونام داخلها وبهدوء شديد قفل باب الشنطة، وانتظر ليعرف وجهة زوجته وابنه وقرر وهو نائم فى مكانه أن يفاجئهما فى منتصف الطريق وإما أن يقضى عليها أو يسلبها كل شيء ثم يعود أدراجه دون أن يراه أحد فلقد حرص أن يخفى عينيه بنظارة سوداء كبيرة عندما ذهب يسأل عن سليم فى المدرسة ومن الصعب التعرف عليه. وفى الطريق شعرت دولت بشيء غير عادى فى السيارة فهدأت السرعة ودار فى خلدها أن العجلة الخلفية بها خلل، وبالفعل رأت دولت العجلة الخلفية شبه فارغة

وقالت لسليم ربما حدث ثقب فى الإطار فلنسرع بتغييره وفتحت حقيبة السيارة فى هدوء ثم صرخت فى هلع .. صرخت صرخة مزقت السكون من حولها . مما دفع سليم للاختباء بين كراسى السيارة هلعت دولت لرؤية وجه زوجها المختبئ فهى لم تفكر أبدا أن تجده هكذا فاندفعت لتدافع عن نفسها وابنها وأمسكت بالكريك الخاص برفع السيارة وأخذت تخطو فى كل الاتجاهات وهو يصرخ فيها قائلا أتهربين أيتها السافلة أنا لا يهرب منى أحد سأقتلك سأقتلك وفى لحظة كان قد أخذ منها الكريك ولفت دولت حول السيارة من الجهة الأخرى وأخذت قضيباً حديدياً كانت تحتفظ به بجوار مقعدها فى السيارة وشجت به رأسه ولكنه لكمها لكمة قوية أسالت الدماء من وجهها بغزارة وأفقدتها وعيها، وزاد نزيف الدم من رأس الرجل فأنهكه بسرعة إلا أنه زحف نحوها وهى طريحة على الأرض وخنقها حتى الموت ثم أسلم الروح ورقد جثة هامدة بجوارها، أخطأت دولت عندما لم تتنبه إلى أن حفل تكريم طفلها سوف يبث بالتليفزيون وإلا كانت اعتذرت عن هذا الحفل وهذا التكريم بأى حجة ولكنها الأقدار تسيرنا ولا تخيرنا، وشاء القدر مرة ثانية أن تتوقف بالسيارة حين شعرت بالحركة فهى تعلم جيدا أن الطريق مقطوع ومخيف لكنها لم تخف من قطاع الطرق آنذاك لعلمها أن الوقت ما زال مبكراً والشمس فى وسط السماء ترسل أشعتها الذهبية

على الرمال وتدفئ كل حياة، لم يجل بخاطرها أن زوجها سيتبعها كل هذه المسافة وهى التى أخفت قصة الميراث والبيت لكن قدر الله وما شاء فعل لقد قتلت أمام عينى الطفل الذى ظل يصرخ ويصرخ حتى بح صوته من حنجرته وسقط مغشيا عليه، وساد الجو هدوء يبعث الخوف فى أى نفس خاصة هذا المكان الذى شهد مصرع والد ووالدة الطفل .

obeikandl.com

وسط الضباب

أثناء هذا الحادث الأليم كانت تحلق فى السماء طائرات رش المبيدات تعبر السماء لقتل الجراد الذى هاجم المزارع وكانت أسراب الجراد المهاجرة تأكل الأخضر واليابس والطائرات تقوم بأداء واجبها بكفاءة عالية وتجاهد للقضاء عليه قبل أن يقضى على المحاصيل الزراعية ويأكلها بالكامل. ولحسن حظ الطفل المسكين رأى قائد أحدى هذه الطائرات المحلقة فى السماء، حين عودته من المهمة السيارة وجثتين وعلى بعد طفل يرقد بدون حراك هو الآخر وبسرعة اتصل لاسلكيا بالمسئولين وأبلغ عن هذه الجثث وطلب الإسعاف للمساعدة الممكنة بأسرع وقت، وحدد الطيار مكان الحادث أثناء الاستغاثة وأخذ الطيار يناور بالطائرة حول موقع الحادث باحثا عن مكان مناسب للهبوط ربما فى إمكانه إنقاذ ما يمكن إنقاذه لحين وصول الإسعاف والشرطة ثم هبطت الطائرة بأمان وترجل من الطائرة مهرولا وتأكد من موت الرجل والمرأة ووجد الطفل على قيد الحياة ولكنه فى حالة إعياء شديد ورغم

صعوبة الموقف إلا أنه ابتسم لأنه وجد الطفل حياً وقدم له بعض الماء بعدما سند رأسه وارتشف سليم قليلا لكنه كان كالمشلول لا يتكلم وعيناه زائغتان وقلبه يرتجف بدقات مضطربة غير منتظمة وعندما سأله الطيار عن اسمه تلعثم وسالت الدموع على وجنتيه وهو ينظر لوالده ووالدته التى قتلت بدون أى ذنب وفى الحال وصلت الشرطة والمباحث وسيارة الإسعاف وبدأت التحقيقات ونقلت الجثتين والطفل .. ومن بعض الأوراق الموجودة فى السيارة عرفت الشرطة من توكيل باسم المحامى من صاحبة السيارة كما تحققوا من هوية السيدة وزوجها ووجدوا الشهادة المدرسية التى تدل على نجاح سليم واستدعت الشرطة المحامى على الفور للتحقيق. وأدلى المحامى بكل المعلومات التى تدين هذا الزوج الظالم الذى كان السبب فى موت زوجته وضياع ابنه سليم الذى أصبح حيا ميتا . وقد أوصى الأطباء بدخوله المستشفى، واستمر تحت علاج مكثف لسوء حالته النفسية لعدة شهور ثم قرر الأطباء خروجه على أن يراعى الحذر فى معاملته وعدم إخافته وإبعاده عن كل الانفعالات واستمرار متابعته . لم يعد سليم لحالته الطبيعية أبدا وصار ضعيفا هزيلا، ورغم جماله وبراءته إلا أن حزنه أضفى على شخصيته شيء من الصرامة والجدية ففى بعض الأحيان عندما يأتى المساء ويسود الظلام فى الكون يجلس منفردا ويتكور على نفسه ويخفى وجهه بين

يديه وهو يبكى فى صمت وفى أثناء المتابعة الطبية طلبت إدارة المستشفى من المحامى الوصى القانونى على سليم بعد الحادث ضرورة عودة الطفل إلى المدرسة كنوع من العلاج حتى يستعيد قدراته النفسية بين زملائه ويغير المكان الذى كان يعيش فيه مع أمه قبل هذا الحادث الأليم .

جلس المحامى يفكر فى مشكلة سليم ومشكلة عقد العمل الذى جاءه فجأة من أحد البلاد العربية ومدة العقد التى ستطول إلى سنتين وربما أكثر، وسأل نفسه من سيرعى هذا الطفل وليس لى زوجة لتهتم به بعد حضوره من المدرسة وترعى أكله وشربه ودروسه فى هذه اللحظة دق جرس الباب وكان الطارق صديق المحامى المخلص وبينهما عشرة طويلة وود ومحبة وجد الصديق فى المحامى شيئا غريبا فسأله ما بك مهموما فقص عليه المحامى مشكلة سليم والمدرسة التى يجب أن تكون على أعلى مستوى فى الرعاية أثناء غيابه فقال الصديق اذهب به إلى إحدى المدارس الداخلية وادفع المصروفات كاملة لمدة السنتين والمصاريف تشمل الرعاية الكاملة من حيث المأكل والملبس وما إلى ذلك فقال المحامى إنها فكرة رائعة ولكن نحن الآن فى منتصف العام ولن تقبله أى مدرسة، فقال الصديق هيا نخرج ونبحث حتى نجد حلاً .. بعد البحث المضنى لساعات طويلة لم يجد المحامى المدرسة التى تقبل سليم فى هذا الوقت من السنة وخاصة عندما

علمـوا بمرضـه والحـادث الـذى راح ضحيتـه والديـه وكان الرفـض مـن الجميـع .. قـال الصديـق إن هـذه المـدارس ذات مسـتوى رفيـع وتلتـزم بـشروط وقيـود محكمـة فـماذا لـو ذهبنـا إلى إحـدى المـدارس الداخليـة خـارج المدينـة فأنـا أعـرف إحـدى هـذه المـدارس ولكنهـا فى مـكان متطـرف وتبعـد عـن المدينـة بمسـافة كبـيرة والمدرسـة صرح هائـل والمبنـى مقـام عـلى عـدة أفدنـة. جـزء منـه المدرسـة وجـزء مجـاور لـه هـو بيـت الطلبـة للمبيـت والفنـاء حـول المدرسـة مسـاحته شاسـعة ولـه أسـوار مرتفعـة لتحافـظ عـلى الأطفـال مـن الدخـلاء. وخلـف المدرسـة مـزارع كثـيرة وأشـجار كثيفـة.. لكـن الـشيء المقلـق الوحيـد أن هـذه المدرسـة حتـى الآن ليـس لهـا ترخيـص وأصحـاب المدرسـة يبذلـون محـاولات مضنيـة لعمـل الترخيـص، وسـأل المحامـى صديقـه ولمـاذا لم ترخـص حتـى الآن؟ قـال الصديـق لأنهـا بنيـت بـدون تصريـح. فسـأله مـرة أخـرى وكيـف تسـتقبل التلاميـذ ومـا مصـير الشـهادات التـى يأخذهـا الطلبـة، وكيـف تعتمـد مـن مدرسـة غـير مرخصـة؟ قـال الصديـق المدرسـة سـوف ترخـص إن عاجـلا أو آجـلا فالمـال يفتـح كل الأبـواب فقـط هـى مسـألة وقـت والمدرسـة بهـا أعـداد كبـيرة مـن الأطفـال ومـن كل الأعـمار .

قـال المحامـى وكيـف علمـت بهـذه المدرسـة؟ فأجـاب مـن أحـد أقاربـى لم يفلـح ابنـه فى الدراسـة ورسـب عـدة سـنوات ففصـل وبالمـال دخلهـا فـما رأيـك ؟ فقـال المحامـى لكـن سـليم

إنسان ممتاز ومجتهد كما أنه يتيم فكيف ألقيه بنفسى فى مدرسة كهذه ربما تعتمد أو لا تعتمد أجاب الصديق لا تقلق ستعتمد المدرسة وكل شيء سيكون على ما يرام لأن مبنى المدرسة ممتاز وسيكون سليم تحت الرعاية والتعليم وسيجد مكانا لينام فيه ومشرفين وكل احتياجاته وبعد عودتك إذا لم يوفق سوف نجد حلا أخر المهم أن تذهب إلى عملك الجديد وأنت مطمئن أنه فى مكان أمين، أما مسألة رخصة المدرسة فأكيد سيحصل عليها أصحاب المدرسة وعلى قدر علمى أن أصحاب المدرسة غير مهتمين بالشئون الإدارية بها ولم يتابعوا شئونها أو يفتشوا على أوراق الطلبة لأنهم من هواة جمع المال فقط .. أما الأعمال الإدارية للمدرسة والإشراف فالمكلف بها الموظفين هناك وسندفع مبلغ للمسئول إكرامية ليقبل سليم ويعتبره دخل المدرسة من أول السنة وليس من نصف السنة، فقال المحامى ربنا يسامحنى ليس أمامى خيار آخر وعلى رأيك إنها مسألة وقت وعند عودتى سوف أصلح كل شيء، المهم أضع سليم فى أى مكان لحين عودتى والحمد لله أنه ولد وليس بنت.

ذهب المحامى إلى هذه المدرسة هو وصديقه وأعطى المسئول مبلغا كبيرا من المال وقال له هذه إكرامية لك وقدم أوراق سليم ودفع مصاريف أربع سنوات مقدما بالإضافة إلى مصاريف القسم الداخلى والأكل والرعاية

الطبيـة وكل شيء وسـأله صديقـه لمـاذا تدفـع أربـع سـنوات مقدمـا إنـه مبلـغ كبـير، فقـال المحامـى إنهـا كل أمـوال سـليم التـى فى البنـك وعندمـا أعـود سـأكفله مـن مـالى الخـاص حتـى يصـير رجـلا إن شـاء الله، وقـال صديقـه ومـاذا عـن البيـت الـذى يملكـه فأجـاب المحامـى إن والدتـه كتبتـه باسـمه وسيسـتلمه عندمـا يصبـح شـاباً ثـم قابـل المـشرف الخـاص بالقسـم الداخـلى وأطلعـه عـلى حالـة سـليم الصحيـة وعلاجـه مـن الخـوف وفقـدان النطـق وأعطـاه الشـهادة التـى بهـا توصيـات الأطبـاء التـى تـدل عـلى أن سـليم تحسـن لكـن يجـب مراعاتـه صحيـا ونفسـيا وعـدم تعريضـه للخـوف أو إلى أى نـوع مـن أنـواع العنـف كـما أنـه محتـاج لرعايـة خاصـة، وفعـلا كان المـشرف متفهـماً للموقـف وتعاطـف مـع الطفـل واطمـأن المحامـى للرجـل وقبـل سـليم وودعـه واسـتمر سـليم تحـت رعايـة المـشرف الطيـب يطيعـه فى كل شيء وكان مـن سـلوك سـليم أنـه مطيـع طاعـة عميـاء سـواء كان يقبـل الأمـر الـذى أمـره بـه مدرسـيه أو لا يقبلـه، كـما كان يخـاف مـن الأصـوات العاليـة والظـلام ويخـاف أيضـاً مـن زملائـه ويتحـرك كالآلـة مبتعـداً عـن العنـف منطويـاً عـلى نفسـه وكان عـزاؤه الوحيـد عندمـا يذهـب إلى بيـت الطلبـة ويجـد الحنـان فى عينـى مـشرف بيـت الطلبـة. وهـذا مـا كان يطمئنـه ويسـعده. وقبـل نهايـة السـنة ولسـوء حـظ الطفـل اسـتقال هـذا المـشرف وجـاء بـدلا منـه مـشرف آخـر.

منتهكو الأجساد

عندما علم سليم بذلك ظل يبكى بحرارة وقبله المشرف وقال له سنكون أصدقاء وسأزورك كلما سنحت الفرصة وتركه مودعا. امتنع سليم عن الطعام يوما كاملا إلى أن جاء المشرف الآخر وكانت له شخصية سادية متسلط عنيد لا يعرف الرحمة خشن الطبع ويخفى تحت كل هذا ميول جنسية شاذة.

كان سليم المسكين يرتجف منه ويخافه لدرجة الموت خاصة عندما ينظر فى عينيه ويتذكر قسوة والده عليه وعلى أمه حتى أدت هذه القسوة إلى قتل أغلى شيء فى حياته، لم يكن لسليم عائل يشكو له هذا الخوف أو صديق يأتمنه على سره أو حتى الطبيب الذى يحضر من آن لآخر ليتابع حالته حسب توصيات المحامى فماذا سيقول سليم عندما يسأله الطبيب عن الأعراض التى يشعر بها. هل سيبلغه أن حالة الخوف عادت له بصورة كبيرة إنه سيدخله فى الحال مرة أخرى إلى المستشفى التى يكرهها سليم ويكره

طرق العلاج النفسى فيها . لذا استقر رأى الطفل على عدم البوح بما يشعر به وسيكتم شعوره تجاه هذا المشرف الشاذ عن الجميع . كان هذا المشرف هو كل شيء بالنسبة للمدرسة فأصحاب المكان سلموه كل ما يخص الطلبة فى كل المراحل وكذلك يتولى تحصيل المصروفات وتسليمها للبنك وكان يرأس القسم الداخلى وكل الموظفين يخافونه ويتفادون غضبه حتى لا يكون سببا فى إنهاء خدماتهم .. قرأ هذا المشرف ملف سليم ووضعه بعيدا عن باقى ملفات الطلبة فى درج مكتبه الخاص وعرف حالته الصحية واستغل هذا وطمع فى الطفل وسولت له نفسه أن يستغل هذا الخوف وهذه الطاعة فى ملذاته وشذوذه معتمدا على أن سليم سيطيع الأمر دون تردد. فنقله إلى حجرة مجاورة لحجرته بعيدا عن الطلبة حتى يتمكن من الوصول إليه جنسيا فى سرية دون أن يراه أحد فى أى وقت يشاء وبدأ يعذب سليم ويهدده إذا فتح فمه أو نطق بما يحدث معه فسوف يلقيه خارج الفناء فى الظلام حيث الوحوش والذئاب المفترسة وإذا بكى سليم كان يضربه ويعذبه ويجد فى هذا كل اللذة لشهواته الدنيئة دون خوف من الله أو من ضميره . أصبح الطفل تحت سيطرته تماما وازداد رعبا وامتثالا لكل ما يأمره به هذا الحيوان الشاذ وكان سليم كلما انفرد بنفسه يبكى ويتقيأ ويمسك معدته بكلتا يديه من شدة بغضه لما يحدث له وذله وبكائه الذى كان يتمتع بهما هذا

السافل الذى هتك كل الحدود الأخلاقية وسمح لنفسه أن يعامل طفلا مريضا بريئا يتيما بكل هذه الوحشية والدناءة والشذوذ، لقد مسخ شخصية الطفل وأصبح سليم يكتم كل يوم وكل ساعة ودقيقة غيظه ويكبته فى قلبه الصغير الذى كان يرتجف كلما سمع خطوات هذا الشاذ تقترب من حجرته، كان المشرف يدخل عليه كالمارد ويأخذه إلى حجرته الخاصة والطفل يرتجف كالطائر المجروح وهو يكتم صراخه إن حظ سليم تعس مثل حظ أمه دولت وإذا انفرد بنفسه كان يقول لو حافظ علىّ أبى وحافظ على أمى ما هتكت كرامتى بهذا الشكل وذل جسدى وتحطمت نفسى وبكت عينى أين أنت يا أمى لم يعد لى بعدك سند ولا ولىّ ... هكذا كانت حياة سليم ألقى به حظه التعس بين براثن من لا يرحم ونسى الحكمة القائلة إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك.

كره الطفل حياته وكره نفسه وكره المدرسة وكره أباه ولعنه لأنه هو من وضعه فى هذه الحياة وراحت صورة أمه تحوم حوله لتصبره وتمسح دموعه فى أحلامه .. وظل غضب سليم ورفضه لكل شيء يكبر ويتزايد ويتزايد ويتضخم لكن ما باليد حيله فما حيلة هذا المسكين وهو ما زال فى هذا السن الصغير .. وذات ليلة وأثناء تعدى المشرف على سليم مر أحد التلاميذ بجوار حجرة المشرف وكان طالبا فى

الفصول التى تكبر سليم وتسبقه فى مراحل التعليم وسمع التلميذ حركة عنيفة فى غرفة المشرف فتسلل على أطراف أصابعه ومن خلف النافذة رأى كل شيء، رأى سليم ملقى على وجهه والمشرف عار من الملابس وبيده حزام يهدد به الطفل والطفل يبكى ويتوسل والرجل كالحيوان الأعمى لا يخاف ولا يخشى ونسى أن الله نصير الضعيف، كان المنظر مؤلما وغير آدمى لقد هتك جسد الطفل بدون حياء ورأى الصبى هذا ففزع وذهب مسرعا إلى زملائه وقص عليهم ما رأى ... ولسوء حظ سليم كان بينهم مجموعة من فصيلة هذا المشرف المتوحش فهدّؤا زميلهم وقال أحدهم اهدأ أيها الزميل وسنجد مخرجا لهذا وتكتم الآن هذا الأمر لحين أن نجد حلا مناسبا وننصب له الكمين المناسب وفعلا حدث هذا فبينما المشرف يمارس شذوذه مع هذا المسكين تسلل هؤلاء الفاسدين من الطلبة الأشرار وهددوه إما بفضحه ونقل صورة حية لما يحدث إلى المسئولين بعدما صوروه بتليفوناتهم المحمولة أو مشاركته الشذوذ مع الطفل ويا حسرة عليك يا سليم انقض ستة من الأشرار بعدما خضع المشرف لتهديداتهم وكان سليم فريسة لنفوس بشرية شاذة ومتوحشة .. وتناوب الجميع عليه حتى سقط مغشيا عليه فأصابهم الفزع واندفعوا هاربين إلى غرفهم وفزع الشيطان أيضا فحمل سليم إلى حجرته وأخفى كل المعالم التى تشير إلى ما حدث وعندما أفاق سليم من غيبوبته

كان إنسانا آخر .. غير الغضب والغيظ والرفض والظلم والمعاناة من كيميائيات دمه وانفصم عن نفسه وخرج منه مارد ينتظر الأمر بالانتقام. وجاءت سنة دراسية جديدة انتقل أطفال إلى الفصل الدراسى الأعلى وجاء أطفال جدد بأعداد كبيرة وكان العمل فى المدرسة على قدم وساق .

obeikandl.com

إنهم حولنا

هـذا اليـوم هـو اليـوم الفاصـل فى وضـع حـد لهـذا الظلـم لقـد حـزم الأمـر خـرج المـارد مـن داخـل جسـد سـليم وتغـير خطـير حـدث لـه عنـف تكـون داخلـه بـركان ثائـر متوهـج عـلى وشـك الانفجـار .. فى منتصـف الليـل كان الـبرد شـديداً والأمطـار تتسـاقط بغـزارة وصـوت الرعـد يعلـو عـلى كل شيء ممـا يدخـل الرعـب فى نفـوس الأطفـال والصبيـة داخـل المدرسـة وكان القمـر فى هـذه الليلـة مختفيـا وراء السـحب ووجـد سـليم نفسـه يشـعر بكآبـة واضطـراب ورعـدة فى جسـده ففكـر أن يهـدئ نفسـه بكـوب مـن النعنـاع الأخـضر فخـرج إلى الممـر المـؤدى إلى الكافتريـا ليأخـذ بعـض المـاء السـاخن فى كـوب وأثنـاء مـروره انقطـع التيـار الكهربائـي مـن شـدة الأمطـار والرعـد وانطفـأت الأنـوار التـى بالممـر فغـير سـليم اتجاهـه إلى الـدور العلـوى الـذى بـه فصـول الصبيـة الأشرار ومشـى عـلى أطـراف أصابعـه حتـى لا يشـعر بـه أحـد وأثنـاء ذلـك سـمع أصواتهـم مـن داخـل حجـرة أحدهـم وهـم يتآمـرون عـلى طفـل جديـد جميـل وشـخصيته مثـل شـخصية

سليم المسكين وسيكون هذا الطفل الجديد فريسة أخرى وعلت أصواتهم بالضحك والفرحة وأخذوا يرقصون بهستريا ويدخنون بشراهة وكأنهم فى بؤرة من بؤر الفساد.. فى هذه اللحظة تحول سليم وتبدل وأربد وأرغى وأخذ يضرب حائط حجرته برأسه ويديه وسال الدم على وجهه وملابسه وتقلصت عضلاته وأقسم أن ينقذ هذا الطفل البريء وينتقم لنفسه من هؤلاء الملاعين الكفرة سيفتك بهم لم يكن سليم من يتكلم لقد خرج من نفسه الضعيفة ليصبح غولاً انتفخت أوداجه وخلع قميصه وحذاءه وانتصب واقفا، كان من يلمس جسده فى هذه اللحظة يتأكد بأن حرارته وصلت إلى أعلى درجة وقفز إلى البهو الكبير بخفة كأنه أسد جائع خرج من عرينه لينقض على فريسته وبسرعة توجه إلى مكان الطفل ودخل إلى حجرته كان الطفل يصغره بسنوات كثيرة لأنه منقول إلى الصف الثالث الدراسى وللأسف وجدهم قد سبقوه وبدئوا فى إخافته فبعضهم يركله والبعض ينزع عنه ملابسه لكى ينالوا منه والطفل يصرخ ويتوسل، وفى لحظة انقض سليم كالوحش الكاسر عليهم ولكم كل منهم على حدة وأطاح بالسفلة يبعدهم عن الطفل فى وحشية لم تكن منتظرة منه كانت قبضة يده كأنها لعملاق لا يعرف الرحمة لقد فر الفاسدين من أمامه إلى فناء المدرسة وهم يتساءلوا من هذا من يكون لقد انتابتهم حالة ذعر شديد . كان كل منهم

ترتعد أوصاله والخوف يملأ قلوبهم فى هذه الحالة أصبح سليم شخصاً آخر حدث له تغير شامل حتى فى ملامحه وفى تكوينه هل الظلم والقهر يغير فى التكوين الجسدى أم يغير فى السلوك فقط أم يغير فى السلوك والتكوين وكيميائيات الدم ويحول الإنسان من الوداعة إلى الشراسة من الحب إلى الكره من السماحة إلى الانتقام . عندما رأى الطفل الجديد هذا أغمى عليه وحمله سليم بسرعة ووضعه بهدوء فى حجرة الموسيقى ليخفيه بعيدا عما يحدث وأخذ يقفز من طرقة إلى طرقة حتى وصل إلى مكتب المشرف الشاذ ضالته المنشودة، كسر المكتب وأخذ حقيبة النقود المكتظة بمصروفات الطلبة الجدد وقال فى نفسه إنها أموالى التى دفعها المحامى لسنوات قادمة ولحسن حظه وجد ملفه وملف الطفل الجديد الذى تعرف على صورته وكان اسمه وحيد .. بلهفة شديدة وضع سليم الملفات فى الشنطة وأخذها وذهب يبحث عن المشرف الذى تخيل أنه يهرب بعيدا مما رأى وفى لمح البصر قفز سليم وهو يحمل الشنطة من الدور الثالث دون أى خوف من كل هذا الارتفاع وفى أثناء سقوطه إلى الفناء نزل على شيء لين ذى حجم كبير ليس باردا أو دافئا ولكنه ساخن لدرجة الغليان وانتقلت سخونة هذا الشيء الذى يشبه قربة السقا المملوءة بالماء إلى جسد سليم وتغير لون جلد سليم إلى عدة ألوان أحمر قرمزى أزرق وكأن ماسا كهربائيا مس سليم والعجيب أن

هـذا الـشيء زاد مـن قـوة سـليم وجعلـه مثـل الوحـش المفـترس الهائـج وبـدون إبطـاء اتجـه سـليم إلى مـكان الصبيـة الأشرار الذيـن كانـوا قـد وصلـوا تقريبـا إلى آخـر الفنـاء تجـاه بوابـة المدرسـة ليفـروا إلى خارجهـا وكانـت المسـافة بـين المدرسـة والفنـاء الخارجـى كبـيرة والفنـاء كلـه مغمـور بميـاه الأمطـار والعاصفـة تحـرك الأشـجار بشـكل يخلع القلـوب والظـلام يزيد المـكان رهبـة ورعبـاً لكـن سـليم لم يكـن يشـعر بـكل هـذا لقـد أمسـك بتلابيـب هـؤلاء الأوغاد ومـزق جلدهم عذابـا حتى كاد يزهـق أرواحهـم ثـم صلبهـم عـلى سـور المدرسـة وجردهـم من ملابسـهم كـما ولدتهـم أمهاتهـم ونبـش أظافـره التـى اسـتطالت بصـورة واضحـة وأصبحـت كالخناجـر نبشـها حافـرا فى أجسـادهم جملـة لهـا مغـزى كتـب :مغتصبـو الأجسـاد والصبيـة يصرخـوا طالبـين الرحمـة وهـو يـصرخ فيهـم : أأنتـم رحمتـم.!

واسـتدار ليواصـل البحـث عـن الكلـب سـبب المشـكلة ذلـك المـشرف الشـاذ لكـن المـشرف كان قـد رأى مـا حـدث من بعيـد واقشـعر بدنـه وسـال عرقـه ولم يشـك لحظـة أن هـذا هـو سـليم وهـرب إلى بـدروم المدرسـة ومنـه إلى ممـر خـاص يـؤدى إلى شـارع جانبـى للمدرسـة المشـئومة وضـاع مـن يـد سـليم وأفلـت مـن العقـاب الحـالى وأثنـاء ذلـك رأى طلبـة المدرسـة الأحـداث المرعبـة وتأكـدوا أن شـيطانا يهاجـم المدرسـة ففـروا جميعـا مـن الأبـواب وكذلـك بعـض موظفـى المدرسـة الجميـع

خرجوا فى حالة هلع شديد منهم من يسقط على الأرض ومنهم من يصرخ ويبكى وعمت الفوضى المكان وأشعل سليم النار فى المدرسة ولم يشعلها فى الفناء حول الأشرار حتى يراهم كل الناس ويكونوا عبرة لغيرهم، وبسرعة البرق احتضن الولد والحقيبة وقفز متواريا وهو يضم الطفل (وحيد) إلى صدره وكأنه يحتضن ذاته كيانه الذى هتك باستهتار وبدون رحمة أو ذنب ولن يهدأ حتى يفتك بالمشرف الشاذ ولو بعد حين .

أخذت النيران تأكل كل شيء وانطمست كل المعالم التى تدل على وجود المدرسة فى هذا المكان وكأن نار جهنم هى التى أحرقت هذا المكان أو شياطين الدنيا ساعدت فى هدمها وطمس معالمها . وضاعت الملفات وتاه الأطفال وانطفأت الأنوار وانتهى الصرح الدراسى الكبير الذى هدمه ضياع الأخلاق وعدم الإنسانية والكل يعلم الآن ويتعظ فربك بالمرصاد والله يمهل ولا يهمل .

الرجل الغامض

مضت سنوات وسنوات على هذا الحادث بعد اختفاء سليم والطفل وحيد الذى كان سببا فى انتقام سليم من الأشرار الستة وحرق المدرسة ولم يسمع أحد أن سليم هو مرتكب الحادث ولا أى جهة قانونية نسبت الحادث لأحد بعينه بل قيد الحادث بالنسبة لتعذيب الصبية الأشرار ضد مجهول وبالنسبة لحرق المدرسة أن ماساً كهربائيا أدى لذلك وظلت الصحف تكتب فى هذا الموضوع قصصاً وحكايات عن اختفاء تلاميذ هذه المدرسة الذين فروا من الحريق ووجد بعضهم فى الطرقات والبعض ذهب إلى دياره فى حالة هلع والكل يروى قصة مختلفة تماما عن الحقيقة . وكما نعلم فالحريق ليس سببه ماسا كهربائيا ولا تعذيب الأطفال الأشرار من مجهول بل نعلم أن هذا الذى حدث سببه القهر والظلم والغيظ والكبت وغياب المسئولين عن متابعة مثل تلك الأماكن خاصة المدارس الداخلية وكل مكان يعيش فيه الإنسان بعيدا عن أهله والقائمين على رعايته .. إن الإهمال فى المتابعة والاتكالية هما المسئول الأول

عما حدث لسليم، سليم الذى كان شخصا وديعا هادئا متزنا نشيطا متقدما فى دراسته انقلب إلى وحش راغب فى الانتقام .

إن العائلة التى تفضل المال على رعايتها لأطفالها وتتركهم سعيا وراء الغنى أو الشهرة والأنانية وحب الذات كل هؤلاء يخربون المجتمع والوطن ويفسدون كل شيء حولهم، إن الأسرة هى الأمن والأمان للفرد، والفرد هو صمام الأمان فى هذا المجتمع والإنسان السوى هو الذى يأخذ من الحنان والرعاية والحب ما يكفيه لتنمو فيه الشخصية المتزنة وبالتالى يصبح كل الأفراد فى المجتمع صالحين ويكون المجتمع قدوة وقوة ضد جميع قوى الشر .. إذا أردنا أن نحظى بهذا المجتمع القوى المترابط فهذا يبدأ من البيت والبيت هو الأسرة والأسرة هى الوطن .

عندما سقط سليم على الجسم الملتهب الذى كان فى حالة غليان انتقلت هذه الحرارة إليه عن طريق خيوط متعرجة متعددة الألوان أحاطت بجسد سليم وتغلغلت داخله فزادت من غضبه وثورته وهياجه وقوته وزادت من حدة رغبة الانتقام والأخذ بالثأر وجعلته قادرا على فعل كل ما فعل ولا أحد يعلم هل هى العناية الإلهية التى وضعت فى طريق سليم هذا المخلوق أو الكائن أو الجسد الذى سقط سليم فوقه لكى يساعده فى أخذ حقه بهذه

الصورة البشعة أم أن هذا شيء آخر سيظهر مستقبلا ومرت السنون أكثر من خمس عشرة سنة، وكان فصل الشتاء على الأبواب وفى منطقة الجنوب بصعيد مصر وعلى أحد المقاهى التى تقع على ضفاف النهر جلس رجل يرتدى بدله سوداء ومعطف وعلى رقبته كوفية ويمسك بيده عصا على شكل رأس الثعبان ومظهر الرجل يدل على قوته وصبره ووجهه يدل على السماحة والرضا ومن ينظر له يجده فى الستين من عمره تقريبا إنه شيخ وقور صالح، وأثناء جلوس الرجل مر موكب فاخر لعريس وعروس شاب جميل فى سن الزهور وعروس أجمل ما يكون ويحيط بالعريس الممتلئ بالسعادة والفرح جمع هائل من الأصدقاء فى سياراتهم المزينة بالورود وكل من فى هذه السيارات يغنى ويصفر ويصفق وفتيات تزغرد وتوقفت هذه الزفة التى جاءت من مسافة ليست ببعيدة عن القهوة التى يجلس عليها الشيخ توقفت وأخذ الشبان والشابات يلقون بالزهور والحلوى على المارة، ظلوا هكذا مدة ثم توجهوا إلى سياراتهم ليعودوا من حيث جاءوا، أثناء هذه الأحداث قام هذا الرجل الذى يمسك بيده العصا وركب مع المجموعة ولم يشعر أحد من المجموعة أن هذا الرجل غريب وليس من المدعوين واستمرت السيارات تضرب الأرض بسرعة فائقة وجلس الرجل المسن فى هدوء وقال فى نفسه الحمد لله كنت سأعود خالى الوفاض لعدم وجود وسيلة مواصلات

فى هـذا الوقـت المتأخـر مـن الليـل وقـد أكرمنـي الله بهـؤلاء بعد مـا عرفـت إلى أيـن سـيذهبون وأكيـد لـن يسـألنى أحـد هـل أنـا قريـب للعريـس أم للعـروس وعندمـا أصـل إلى المـكان الـذى أريـده سـأترجل مـن السـيارة بـدون أن يشـعر أحـد وأسـير إلى وجهتـى وليسـامحنى الله عـلى تطفـلى لكـن بعـد وصـول السـيارات التـى تـزف العـروس والعريـس إلى مـكان الحفـل لم يقـو الرجـل عـلى تـرك هـذا الفـرح، إن الحفـل مقـام فى فيـلا أحـد الأغنيـاء وسـط مـزارع ذات أسـوار عاليـة كلهـا مضـاءة بالأنـوار مـن أجـل هـذا العـرس وفى مقدمـة الفيـلا بوفيـه يكفـى ألـف مدعـو فيـه كل مـا لـذ وطـاب مـن خيرات الدنيـا .. خـراف ديـوك رومـي لحـوم مـن كل الأصنـاف جاتوهـات وتورتـات وفطائـر وفواكـه ومـن المشروبـات والعصائـر الكثـير مكتـوب فـوق البوفيـه الـكل مدعـو لتنـاول الطعـام بـدون قيـد أو شرط فقـط نطلـب الدعـاء للعروسـين تقـدم العجـوز الـذى حـضر مـع موكـب العروسـين وهالـه مـا رأى مـن بـذخ فى هـذا الحفـل وتمنـى أن يعـرف مـن صاحـب المزرعـة والفيـلا وكل هـذا .

وقـف الرجـل خلـف البوفيـه الـذى عليـه هـذه الأصنـاف الشـهية مـن الطعـام وأخـذ طبقـا وبـدأ فى اختيـار مـا لـذ وطـاب مـن المأكـولات وأثنـاء ذلـك سـمع حـوارا بـين رجلـين أحدهـم فى الثلاثـين مـن عمـره والآخـر يصغـره بقليـل وخمـن

الشيخ أن هذا الرجل هو العريس والذى يؤكد ذلك هو ملابسه الأنيقة وقال يا أخى لو كان والدى على قيد الحياة ما فعل ما فعلته معى لقد ربيتنى وعلمتنى الدنيا والحياة وراعيت الله فى وجعلت منى شابا ورجلا له المال والنفوذ. والآن زوجتنى بارك الله لى فيك نعم الأخ والأب والحبيب أنت صدقنى سأفتقدك جدا طوال شهر العسل ولا أريد أن أتركك .. فابتسم الآخر وقال له إن ما فعلته ليس جميلا تشكرنى عليه فلولا وجودك فى حياتى لأصبحت الحياة بالنسبة لى لا تساوى شيئا.. على الأقل وجدت شيئا مفيدا أفعله فى تربيتى لك فأنت منبع الضياء لى، أنا الذى يجب أن أشكرك فبفضلك منحت القوة والإيمان وبفضلك منحت الصبر والسلوان. أما أنك لا تريد أن تتركنى فى شهر العسل وتبقى معى فأنا لا أصدقك لأن عروسك ستنسيك الدنيا ومن فيها يكفى أنكما متحابان من زمن طويل ..عدنى أن تتصل بى تليفونيا كلما وجدت وقتا لذلك لأنى لن أتصل حتى أفسح لك مجالا مع عروسك ولا أريد أن أكون عزولا واحتضن الأخ أخاه لدقائق وعلت الزغاريد والموسيقى، وترك العريس أخاه ليجلس بجوار عروسه واستدار الأخ الكبير وبكى وهو يخبئ وجهه بمنديله .. وهنا تعجب الرجل وبسرعة ترك الطبق الذى صنف فيه الطعام من على البوفيه وقال فى نفسه لن أتذوق هذا الطعام فليس لى حق فيه بعد كل ما سمعته ورأيته من

هـذا الأخ الـذى اكتشـفت الآن أنـه صاحـب الفـرح وصاحـب كل شيء. فـلا يحـق لى أن أمـد يـدى للطعـام مـا دمـت غـير مدعـو. وذهـب الرجـل ليصـل إلى البوابـة الكبـيرة وفى طريقـه للخـروج أحـس بمـن يتبعـه فاسـتدار ليجـد الأخ الأكـبر الـذى سـأله لمـاذا لم تـأكل ؟ لمـاذا تركـت مـا أعددتـه فى طبقـك مـن طعـام هـل أغضبـك شيء يـا خـال ؟ قـال العجـوز سـامحنى يـا سـيدى فأنـا لسـت مـن المدعويـن لكـن شـاءت الأقـدار أن أكـون فى موكـب العـرس لعـدم وجـود وسـيلة تنقلنـى إلى هـذا المـكان وقـد هممـت بتنـاول الطعـام الشـهى المعـد عـلى البوفيـه لكنـى سـمعت مـا دار بينـك وبـين أخيـك مـن حديـث وحـوار يـدل عـلى أنـك رجـل أصيـل كريـم فى كل معاملاتـك، ففـى أيامنـا هـذه مـن الصعـب أن تجـد مـن هـو فى مثـل أخلاقـك ونبلـك وهـذا مـا جعلنـى أقتـدى بـك وامتنـع عـن أخـذ شيء ليـس مـن حقـى .. ابتسـم صاحـب الفيلا وقـال الآن سـأدعوك يـا خـال بنفسـى وسـتأكل معـى وعـلى المنضـدة المعـدة لى فهـل تقبـل دعوتـى لـك للعشـاء . قـال الشـيخ وكيـف لا أقبـل وأنـا أمـام عمـلاق فى الكـرم وحسـن الضيافـة واحـترام النـاس، إنـى فخـور بمعرفتـك يـا سـيدى. وبسرعـة ولهفـة قـال صاحـب الفيـلا لا تقـل يـا سـيدى فأنـت أصبحـت صديقـى وربـما شـاء الله أن يرسـلك لى فى هـذا الوقـت بالـذات لتؤنـس وحدتـى والله لقـد ارتحـت لـك كثـيرا وسـيكون بيننـا مـن الأحاديـث مـا يثلـج صـدرى وصـدرك بـإذن الله، يكفـى أن تنادينـى كـما

ينادينى كل أصدقائى، فقال الشيخ وما هو يا بنى بماذا يناديك أصدقائك؟ فأجاب ينادونى عزيز وهذا اسم غال عندى. ضحك الشيخ وقال بما أنى أصبحت من أصدقائك فسأناديك عزيز .. تناول عزيز وصديقه الشيخ الطعام بشراهة وهما يتحدثان فى أمور كثيرة ثم بدأ العريس والعروس يستعدان للذهاب إلى المطار وسط التهانى والقبلات والأحضان. وبعد ليلة جميلة طويلة جمعت كل أحباء عزيز وأخيه وحيد وعروسه غادة وعائلتها نام عزيز فى حجرته وأعطى حجرة أخيه وحيد للشيخ حتى يكون بجواره ليؤنسه خاصة هذه الليلة التى أبعدت الأخ عن أخيه . كان الشيخ عبد الودود سعيدا بمعرفة عزيز ووجد فيه الابن والصديق الوفى ونام الشيخ نوما هادئا وكأنه وسط عائلته. وفى الصباح الباكر وعند بزوغ الشمس التى تسللت من النافذة ليقع شعاعها على وجهه لتدفئه فى أيام الشتاء، استيقظ الشيخ عبد الودود توضأ وصلى ثم ذهب إلى حديقة الفيلا وجلس يقرأ بعض الآيات من القرآن فى مصحف صغير يحمله دائما معه .. وعند الساعة الثانية عشرة ظهرا ظهر عزيز بملابس النوم وفوقها روبه الخاص واتجه نحو الشيخ وقال له أنعمت صباحا يا خال وهم الشيخ ليقف ولكنه أجلسه بأدب وقال له أستغفر الله .. وبعد قليل حضر أحد الخدم يحمل شنطة بها ملابس جديدة وقال الخادم لقد أعطانى السائق هذه الملابس يا

سيد عزيز لأعطيها للشيخ عبد الودود، فابتسم عزيز وقال إنها لك يا خال قد أوصيت بشرائها لأنك كنت غارقاً فى ملابس النوم الخاصة بى لكبر حجمها عليك إنها ملابس داخلية وملابس نوم وعدد من القمصان والجوارب أرجو أن تقبلها منى .. اغرورقت عينا الشيخ بالدموع من كرم عزيز . إنه ملاك فى صورة إنسان، وبسرعة نهض الشيخ وتقدم نحو عزيز وقبله وقال تصدق يا بنى أنى منذ زمن طويل لم يعطيني أحد أى شيء ولم يتذكرنى أى من أقربائى، فهدأه عزيز قائلا هذا شيء بسيط مقابل ما أسديته أنت من معروف لى، إن وجودك يا خال كنز ثمين.. وجودك معى هو الذى جعلنى أنام حتى الساعة الثانية عشرة ظهرا لأنى شعرت أنك الخال والأخ والصديق . وجلسا يتناولان القهوة والحليب وبعض الفطائر الطازجة وبدأ الشيخ بسرد قصته على عزيز قائلا لقد تزوجت من سيدة مطلقة ولها طفل عمره خمسة عشر عاما وكانت سيدة عظيمة هادئة أحبتنى وأحببتها حبا كبيرا وربيت معها ابنها وجعلته وكأنه ولدى لكن الولد شب خشن الطبع فظ المعاملة مع والدته يستبيح لنفسه طعامها ومالها وكانت تخفى عنى سلوكه وتعاطيه للمخدرات وتدخينه للسجائر لكنى كنت أعلم عنه كل شيء وكان لى أنا الآخر ابنة من زوجتى الراحلة تربيها خالتها لعدم وجود وقت لأرعاها ولخوفى عليها من ابن زوجتى، ومرت سنوات تخرج بعدها هذا

الابـن الفاسـد وذهـب إلى عملـه الجديـد فى المدينـة وحمـدت الله عـلى هـذه النتيجـة وارتاحـت زوجتـى لبعـد هـذا الفاسـد عـن حياتنـا إلا أن زوجتـى كانـت تبكـى فراقـه أحيانـا وكنـت أواسـيها وأقـول لهـا أنـا الآخـر لى ابنـة وهـى بعيـدة عنـى إنهـا الأقـدار ويجـب أن نشـكر الله عليهـا ألا يكفيـك وجـودى معـك فكانـت تبتسـم وتقبلنـى شـاكرة معاملتـى الطيبـة لهـا .

ومرضـت زوجتـى مرضـا خطـيرا بعدمـا تسـلمت رسـالة مـن ابنهـا ورحلـت إلى خالقهـا وتركتنـى وحيـدا فى الدنيـا، حاولـت أن أنسـاها لكـن هيهـات وكيـف يكـون ذلـك إنـى مـا نسـيتها قـط إذا انتقلـت مـن مـكان إلى مـكان أحمـل معـى حقيبـة صغـيرة بهـا ملابسـها وصورتهـا ورغـم أنـى كنـت أكـره ابنهـا لكنـى احتفظـت بصورتـه فى أشـيائها وملابسـها تكريـما لذكراهـا .. وسـأل عزيـز الشـيخ ومـا عملـك يـا خـال؟ قـال الشـيخ كنـت أعمـل موزعـاً للمـواد الغذائيـة عـلى المصالـح الحكوميـة والمـدارس، ومنهـا مدرسـة ابـن زوجتـى التـى كان يعمـل بهـا. وكان المـورد شركـة كبـيرة لتوريـد اللحـوم والمـواد الغذائيـة والسـلع وأنـا الآن بالمعـاش وتزوجـت ابنتـى مـن شـاب أحبتـه حبـا كبـيرا ذهبـت معـه إلى الهنـد ليواصـل دراسـته فى علـوم الأعشـاب وبعـد سـنوات قليلـة طلـق ابنتـى وتـزوج مـن غيرهـا وتركهـا فى الغربـة بـدون مـال ولا سـند. ولكنهـا أخفـت عنـى هـذا الخـبر لكـى لا أحـزن وأتـألم ورأت

ابنتى ثريا وهذا هو اسمها أن تبقى بالهند وتعمل فى التطريز ورسم التابلوهات التى ستطرز لأنها كانت محترفة فى هذه المهنة وفعلا عملت لدى أحد الهنود صاحب محلات تطريز الحرير على القطيفة والذى يسمى بالسيرما كما أنه يتاجر فى البخور والتحف والمشغولات النحاسية .. هذا الرجل الهندى المسلم رأى فى ابنتى صانعة ماهرة فأغدق عليها المال وحباها برعايته وأصبح لدى ابنتى مالا يكفيها لشراء منزل وبعض قراريط لنزرعها سويا لأنها تعلم أنى أحب الزراعة والفلاحة كثيرا. لقد علمت كل ما رويته لك من قصة ابنتى وزوجها من وقت قصير ورغم أن كل رسائلها تخبرنى أنها موفقة مع زوجها.. حتى آن الأوان وأصبحت قادرة ماليا ونفسيا فأرسلت لى بقصتها كاملة، والذى جاء بى إلى هذا المكان أنها تريد أن أشترى لها بيتا فى الجنوب، لأن الجنوب مسقط رأس والدتها وطلبت منى إعداد كل شيء ثم أسافر لها بعدما ترسل لى تذكرة الطائرة للهند لأتنزه معها قليلا وأقضى مع ابنتى وقتا ممتعا ونعود سويا إلى هنا لترعانى فى الكبر. هذا يا سيد عزيز كل شيء عنى وعن حياتى الخاصة .. استمع عزيز إلى قصة الشيخ بصبر جميل لم يقاطعه ولم يتطفل عليه ووجد فيه وفى ابنته الوفاء والشرف والعزة والكرامة والحب والإخلاص فزاد هذا من احترامه للشيخ.

مرت عدة أيام ثم جاء عزيز وطلب من الشيخ عبد الودود الذهاب معه فى نزهة خارج المكان وكان عزيز يخفى مفاجأة للشيخ. كان اليوم باردا والسماء ملبدة بالغيوم وحفيف الأشجار له صوت مسموع ذهب الصديقان وجلسا داخل السيارة التى أخذتهما إلى مكان يقرب من مزرعة عزيز بمسافة قصيرة، ثم ترجلا واتجها نحو بيت يتكون من طابقين وحوله قطعة أرض مجهزة للزراعة وبجوار المنزل بحيرة صغيرة بها بعض البط يسبح فى سكينة وهدوء .. وقال عزيز ما رأيك يا خال فى هذا البيت وهذه المنطقة قال الشيخ إنها رائعة يا بنى لمن هذا البيت الجميل قال عزيز لقد حجزته لك ولابنتك فأرجو أن تصعد لتتفقد الأدوار العليا والحجرات والموقع الخلفى للمنزل وفى حالة إعجابك وقبولك ندفع الثمن ونكتب العقود . أعجبنى البيت والموقع لقربه من مزرعتى حتى نتقابل دائما دون أن يرهقك الطريق. صعد الشيخ بسرعة وتفقد الموقع. كان المنزل يطل على ضفاف النهر ومن النافذة ترى جمال النهر والصخور التى تزينه وتدل على التاريخ العريق لوجودها وكانت الصخور كثيرة ومتناثرة ويقف عليها مجموعات من الطيور البيضاء بمناقيرها الطويلة التى تتصيد بها الأسماك التى تتغذى عليها وبين هذه الصخور كانت المياه ترتفع وتهبط وتصطدم ببعضها فينتج عن ذلك صوت جميل وتغير فى

لـون الميـاه .. وكانـت المراكـب الشراعيـة منتشرة بكثـرة وتقـوم عـلى خدمـة السـائحين الذيـن يسـتأجرونها للتجـول فى النهـر لينعمـوا بصفـاء وجمـال الطبيعـة ونقـاء الجـو. وعـلى الضفـة الأخـرى كانـت المطاعـم والمحـلات التـى تبيـع الأصـداف والتماسـيح الصغـيرة فى أحـواض والتحـف المصنوعـة مـن الأخشـاب والمجسـدة فى حيوانـات أو طيـور أو أسـماك .. هنـاك أيضـا الملابـس النوبيـة والتحـف الفرعونيـة وأماكـن عربيـة للجلـوس وتنبعـث مـن كل مـكان رائحـة البخـور الزكيـة التـى تريـح النفـس وتجعلهـا تسـبح فى الفضـاء. موقـع المنـزل رائـع تـرى مـن نوافـذه عـالم جميـل ونقـى وأنـاس طيبـين بملابسـهم وعمائمهـم البيضـاء الشـفافة الناصعـة البيـاض، كانـت سـعادة عبـد الـودود لا حـدود لهـا واحتضـن عزيـز بقـوة وقـال وهـو فى حالـة انفعـال مـا بـين الاعـتراف بالجميـل وبـين الفـرح والحـب لشـخصية عزيـز المتكاملـة وطيبـة قلبـه الكبـير إنـك عظيـم فى كل شيء فقـال عزيـز لقـد انتقيـت موقـع المنـزل حتـى أسـعدك بذلـك وتعـرف أن الجنـوب فيـه جمـال وشـاعرية وود وهـذا سـيجعل ابنتـك لا تشـعر بالغربـة وأن لدينـا جمـالاً مثلـما هـو موجـود بالهنـد مـع الأخـذ فى الاعتبـار وجـودك معهـا .. قـال الشـيخ إذا سـنكتب العقـود وأتمنـى أن يكفـى المبلـغ الـذى معـى حتـى لا أطلـب مـن ابنتـى مبلغـا آخـر وهكـذا انتهـت إجـراءات ملكيـة المنـزل وقطعـة الأرض التـى حولـه واحتفـل عزيـز مـع الشـيخ فى فيلتـه بهـذه المناسـبة وطلبـا وجبـة غـذاء

من الأسماك الطازجة المشوية ومجموعة شهية من السلطات والخبز الطازج وقضيا معاً وقتا ممتعا .

قال الشيخ والآن سأبدأ فى ترتيب البيت بشراء الأثاث اللازم، وسأقوم بزراعة قطعة الأرض وبعد ذلك سأذهب إلى المدينة لإحضار ملابسى وأغراضى الشخصية لأضعها فى المنزل ثم أبلغ ابنتى فما رأيك يا بنى. قال عزيز لك هذا اذهب غدا واحضر أشياءك الخاصة وسأرسل من يشترى لك بعض الأثاث وأيضا سأرسل بعض العمال من مزرعتى ليتولوا تجهيز الأرض وسوف تدفع لى التكاليف المالية عندما تعود قال الشيخ إذا سأترك لك مبلغا تحت الحساب وأرجو ألا تمانع وإلا لن أذهب للمدينة قال عزيز لا بأس لك ما تريد . سافر الشيخ إلى المدينة وجهز كل ما يحتاج إليه وعاد أدراجه بالقطار ولدى وصوله إلى المحطة المقصودة وجد سائق عزيز فى انتظاره بالسيارة فأسرع إليه وحمل عنه أغراضه وأخذتهما السيارة فى طريقها إلى الفيلا.. كان اللقاء حارا إلى أبعد الحدود بين الصديقين وأخذ كل منهما يروى للآخر ما حدث له فى هذه المدة القصيرة وهذه الأيام القليلة. وأثناء جلوسهما دق جرس التليفون وكان المتحدث وحيد شقيق عزيز مما أسعد عزيز لسماع صوته وقال إنه يوم لقاء الأحباء. أبلغ وحيد عزيز عن مدى سعادته مع زوجته وطلب من أخيه أن يسمح له

بقضاء مدة أخرى لأنه يريد أن يرى بعض البلدان المجاورة مع عروسه غادة، كما يريد شراء بعض الهدايا لأصدقائه.. وقال عزيز افعل ما تريد يا حبيبى إن سعادتك هى سعادتى وأنا هنا لست وحيدا فمعى صديق لا يفارقنى أبدا ويؤنس وحدتى وصديقى هذا هو الشيخ عبد الودود فلا تنس أن تحضر له هدية معك أثناء عودتك ولا تكن بخيلا وانتهت المكالمة بشجن وحب بينهما.

هكذا مرت الأيام جميلة بين الصحبة والصداقة والوفاء الذى قليلا ما نجده فى أيامنا هذه إنها فترة بسيطة لتتكون علاقة وصداقة بهذه القوة بين شخصين التقيا صدفة وتآلف قلبيهما وارتبطا وكأنهما عاشا عمرا طويلا مع بعضهما رغم فارق السن والحالة الاجتماعية، إلا أن الشيخ والشاب كان بينهما الحب والطيبة وحنان كبير مما جعل عزيز لا يبالى بالمال بينه وبين الشيخ فهو يريد أن يسعده بأى شكل كان ..

وفى صباح اليوم التالى لحضور الشيخ عبد الودود من المدينة أخذه عزيز إلى البيت الذى أعده له ليرى الأثاث والفرش المنسق وليرى أيضا عمال عزيز وهم يغرسون الأشجار والزهور وقد قام بعض العمال بشراء مجموعة كبيرة من البط والإوز الذى زاد من جمال البحيرة وسعد عبد الودود خاصة بأصوات الطيور وهى تسبح وتلهو

داخل الماء إن المكان أصبح كما كان يحلم به خاصة الهدوء والسكينة والمتعة والدفء إن هذا ما كانت تحلم به ابنته وحبيبته ثريا لقد شكر الشيخ صنيع عزيز ووفاءه والتزامه وأمانته وقال له إنى أدعو لوحيد دائما لأنه بسببه وجدتك فى طريقى وما أجملها من مصادفة، بارك الله فيك يا صديقى، فقبله عزيز وقال له مبروك منزلك يا خال والآن اذهب لترتب ملابسك فقد أحضرها لك خادمى فى غرفة النوم وسأوافيك بعد قليل. فتح عبد الودود الشنطة وبدأ فى ترتيب ملابسه بهدوء بالخزانة الخاصة بالملابس وبعدما انتهى من ترتيب جميع الأشياء توضأ ثم صلى وزاد من دعائه لعزيز وثريا ووحيد شقيق عزيز وشكر الله كثيرا على ما أصبح عليه ودخل عزيز الغرفة وسأل الشيخ هل انتهيت من تنظيم ملابسك، قال نعم ما رأيك؟ أجاب عزيز عظيم وهل لى رأى بعد رأيك يا خال . ولفت نظر عزيز صورة زفاف الشيخ إلى زوجته الراحلة فوق طاولة تتوسط الحجرة وبجوارها صورة ابنته ثريا .. فتاة جميلة جذابة لها ابتسامة تأخذ القلب وتعرف عزيز على عائلة الشيخ من الصور وقال للشيخ إنكم أسرة جميلة ثم استدار فوجد حقيبة متوسطة الحجم بجوار أحد الفوتيهات وسأله ولماذا لم تقم بوضع ما بها هى الأخرى فى الخزانة قال الشيخ إنها بعض ملابس بسيطة لزوجتى الراحلة حتى أتمتع برائحتها فى المكان الجديد الذى اشتريته

وعندما نطق الشيخ بهذه الكلمات التى تحتوى على القيم العظيمة تعجب عزيز من الدنيا ففيها الوفاء وفيها نقيضه فيها الحب وفيها الكره فيها السعادة وفيها الألم وأضاف عزيز دعنى أساعدك يا خال فى ترتيب ما بها فإنى أشعر أن التعب قد نال منك قال الرجل لا أبدا فقط لا أريد أن أفتحها لأن بها صورة ابنها الذى تسبب فى مرضها فقال ولماذا تحتفظ بها قال الشيخ تكريما لذكراها وكان درسا آخر فى الوفاء تفوه به الشيخ أمام عزيز.

obeikandl.com

من وراء هذه القوة

بسرعة فتح الشيخ الحقيبة وبدأ فى تنظيم ملابس الراحلة وفجأة سقط برواز صورة ابنها على الأرض والتقطه عزيز قبل أن ينكسر وعفويا نظر إلى الصورة وعندما وقع بصره على الصورة صرخ وتأوه وانتابته حالة من الفزع الرهيب تقلصت أحشاؤه وانتفخت عضلاته وتكرمش وجهه وهب واقفا وكأنه استطال وتلون جلده بألوان غريبة وانبعثت من جانبيه حرارة كادت أن تحرق المكان، وضغط عزيز بكل قوته على الصورة فتحطمت وتهشم الزجاج وأصبح كالرمل بين أصابعه وأصاب يده وتغلغل الزجاج فى جلده ولحمه وسالت الدماء تنزف بغزارة من يده وتناثرت على السجادة والأرض وقفز خارج المكان وأخذ يجرى وكأنه يسابق الريح يضرب بيده الشجيرات فيقتلعها من جذورها فتتساقط على الأرض وترتطم فوق بعضها محدثة أصواتا تخلع القلوب وأخذ عزيز يعدو ويقفز ويجرى متجها نحو بيته ولم ينتظر أن يفتح له أحد الباب بل ضرب الباب بيده فخلعه فى الحال ودخل إلى الحمام بملابسه وأدار صنابير المياه

الموجودة حوله وتدفق الماء غزيرا على جسده الذى كان يرتجف من حرارته وانبعث منه ما يشبه الدخان الناتج من إطفاء الحريق بالماء ومر وقت ليس بالقليل والماء يتدفق بغزارة وهو يقاوم آلام تعتصره من داخله أخذ يئن ويتوجع ويبكى ثم بدأ يهدأ ويهدأ ويهدأ وعادت ملامحه تدريجيا تلك الملامح الجميلة الباسمة والتقط عزيز أنفاسه بعد كل هذه المقاومة التى طحنته كان فى ثورته هذه قادرا على أن يحطم كل شيء، وكان ما حدث له صراعا عنيفا بين رغبته أن يتماسك بالخير والطيبة والنبل وأن يقاوم الشر الذى بداخله. وخرج من الحمام يتلوى متجها إلى سريره وراح بين السبات واليقظة يتكلم متلعثما بكلمات غير مفهومة .. وأثناء كل هذه الأحداث ومن لحظة أن خرج عزيز على هذا النحو حتى وصوله إلى حمام بيته كان الشيخ عبد الودود يتتبع عزيز لقد خرج يجرى وراءه بل يلهث ليتبعه بكل ما أوتى من قوة ليتمكن من اللحاق به وعندما وصل عزيز إلى الفيلا رأى كل شيء بعينيه وهو منزو فى أحد الأركان، لم يفهم الشيخ ما حدث لعزيز ماذا وجد فى الصورة التى فعلت به كل هذا. أهو مريض هل عنده صرع أو اضطراب نفسى فاجأه فى الحال ؟ ماذا حل بالرجل ؟ إنه أطيب رجل وجده فى حياته والجميع يحبونه ويقدرونه ويحترمونه فماذا حدث له .. وهل هذه أول مرة يحدث له ذلك أم أن الحالة متكررة.. وما كل هذا الغضب

الـذى تملكـه عندمـا رأى الصـورة، وقـال الرجـل وهـو يتنهـد اللهـم اغفـر لـه وارحمـه. عندمـا نـام عزيز تسـلل الرجـل وخلع عنـه ملابسـه واسـتبدلها بأخـرى جافـة بمسـاعدة بعـض الخـدم وقـد فـسر الشـيخ ابتـلال ملابـس عزيـز للخـدم بأنـه سـقط فى البحـيرة بمنزلـه الجديـد بعدمـا تعثـرت قدمـه بحجـر صغـير .. ثـم أحـضر الشـيخ كوبـا مـن الحليب وأخـذ يسـقيه لعزيز رشـفة رشـفه وسـأل خـادم عزيـز الخـاص عـن عنـوان الطبيـب الـذى يعالجـه.. فقـال الخـادم عـلى الفـور سـأتصل بـه تليفونيـا ليأتـى حـالا ويطمئننـا عـلى سـيدى وهكـذا اتصـل الخـادم بالطبيـب وسـأله الحضـور فـورا لأن سـيده فى حاجـة إليـه وجـاء الطبيـب مهـرولا ونقـل عزيـز إلى المستشـفى وقوبـل بترحـاب شـديد مـن المديـر المسـئول لأن عزيـز مـن الذيـن يتبرعـون للمـرضى والمستشـفى كل سـنة بمبالـغ كبـيرة ..وأجريـت التحاليـل والفحـوص لـه ورغـم الإعيـاء الشـديد الـذى كان بالرجـل الشـاب إلا أنـه امتثـل لأمـر الأطبـاء وأعطاهـم عينـات مـن دمـه وعنـد ظهـور نتيجـة تحاليـل الـدم وقـع الأطبـاء فى حـيرة مـن هـذه النتائـج إنهـا أرقـام فلكيـة مرتفعـة إلى أقـصى درجـة فى نتائـج دمـه وفى كل شيء وظهـرت أشـياء غريبـة فى عـدد كـرات الـدم والتحاليـل الـشيء الـذى جعـل الأطبـاء يطلبـون إعـادة التحاليـل مـرة أخـرى بعـد ثلاثـة أيـام ربـما حـدث خطـأ أثنـاء اخـذ العينـات وسـأل الأطبـاء عزيـزا عـدة أسـئلة .. هـل يـا سـيد عزيـز تعرضـت لأى أمـراض مؤخـرا أجـاب لا هـل

أخذت أية أدوية فنفى ذلك أيضا. قال الأطباء إن نتيجة التحاليل غير واضحة بصورة كافية كما أنها غير عادية وطلب الأطباء من فريق العمل وضعه تحت الملاحظة عدة أيام وبعدها ستعاد له كل الفحوص وفعلا مر ثلاثة أيام تماثل عزيز عزيز للشفاء السريع وعادت حيويته ونشاطه وابتسامته وهدوؤه ووداعته كما كانت كما أثبتت جميع الفحوص أن حالة عزيز ممتازة جدا .. وعلم عزيز من الأطباء بكل هذا وقال طبيبه الخاص بدعابة ربما أخذنا العينات الأولى من شخص آخر .. وضحك كل من الأطباء ليخففوا عن عزيز ما حدث سابقا كما طلبوا منه الاستمرار فى المتابعة .

خرج عزيز بمصاحبة الشيخ متأبطا ذراعه كان الشيخ عبد الودود قد أقام مع عزيز فى المستشفى الليل والنهار وأشرف على خدمته بنفسه وفى معظم الأحيان كان يسهر الليل بجواره ينام وهو جالس على الكرسى وكان عزيز يراه من الحين إلى الحين وهو يفعل ذلك بإخلاص نادر مما زاد من ثقة عزيز وحبه له، وعندما استرد صحته سأل الشيخ ماذا قلت للأطباء يا خال .. قال الرجل لا شيء يا ولدى عندما سألونى عن سبب دخولك المستشفى قلت لهم لقد انزلقت قدمك وسقطت فى البحيرة التى بمنزلى والجرح الذى فى يدك من جراء سقوطك على

قطعة زجاج.. وابتسم عزيز وضغط على يد الشيخ وكأنه يشكره على ستر سره . إن الشيخ عبد الودود عندما رأى نتائج التحاليل كلها ممتازة شك فى شيء ما .. لكنه فضل الصمت آنذاك حتى يعلم من عزيز ما هى صلة الصورة بالأعراض التى حدثت له .

وصل الشيخ وصديقه إلى الفيلا ثم توضأ ليصلى وانزوى بأحد الأركان يدعو الله وسمعه عزيز من النافذة أثناء دعائه خاصة وهو يقول يا رافع السماء وباسط الأرض ومثبت الجبال بحق كل حرف فى القرآن أن تشفى صديقى عزيز وتعيد له صحته وهيبته وتستر سره ولا تفضح أمره ثم بكى الشيخ قائلا فداك نفسى أيها الرجل الصالح فداك نفسى يا بنى .

كان يوما مشمسا جلس عزيز مع صديقه يتجاذبان أطراف الحديث حيث جاء الخدم بصينية عليها أدوات الشاى والقهوة وفطور شهي وبعض الفاكهة الطازجة. تنهد الشيخ وقال لعزيز يا بنى لقد قصصت عليك قصتى وقصة زوجتى وابنتى وكل شيء ووضعت أسرارى بين يديك ووثقت بك ثقة ليس لها حدود وأتمنى الآن لو كان فى إمكانى أن أمنحك ما تبقى من عمرى لأعطيه لك فى الحال، افتح قلبك يا عزيز يا ولدى وبح لى بسرك والله المعين فالسر الذى يتقاسمه اثنان سيكون أخف عما

يتحمله فرد واحد بنفسه وأخرج الشيخ مصحفاً من جيب سترته وأقسم لعزيز أن سره سيدفن مع الشيخ .. وأنزلت هذه الكلمات على قلب عزيز السكينة فأثلجته وتنهد فأخرج زفيرا طويلا أراح صدره وقال والله يا خال بدون كل هذه المقدمة كنت أنا نفسى سأبوح لك بسرى.. وبدأ عزيز يتكلم لقد كشف عن نفسه وعن شخصيته إن اسمه الحقيقى ليس عزيز إنما هو اسم عم أمه دولت التى قتلت بيد أباه الذى تبعها بعدما علم أين تختبئ وأجهز عليها وأجهزت عليه وماتا تاركين سليم الذى مرض بالخوف وانحبس صوته وبعدها شفى.. ودخل مدرسة داخلية والمشرف الشاذ وما سببه له من العذاب والضرب وهتك جسد الصبى مع حفنة من الأشرار. وشرح الشاب كيف أن الغضب قد فجر فيه إنساناً آخر انفصم عن نفسه وأصبح كالعملاق وساعده ذلك فى إنقاذ الطفل الجديد من براثن الصبية الأشرار عندما أرادوا أن يمارسوا الشذوذ معه وكيف خطف الطفل وأوراقه وفراره بوحيد وإنقاذه وتمثيله بأعدائه والحقيبة التى بها الأموال التى اعتبرها أمواله التى دفعت من قبل المحامى للمدرسة مقدم أربع سنوات دراسية شاملة كل شيء، وحزنه الشديد لعدم عثوره على المشرف الذى تسبب فى كل هذا العذاب . وتساءل الشيخ أنا فى حيرة ما هو الشيء الذى وقعت عليه حين قفزت من النافذة عندما كنت تطارد الأشرار والمشرف الشاذ.

قال سليم إنى شعرت بأنى لمست كتلة من نار تغلغلت فى كيانى وزادت من ثورتى وتعطشى للأخذ بالثأر وأحسست بأن حرارة جسدى ورأسى على وشك الانفجار، هذه الحرارة التى أعطتنى كل هذه القوة التى ساعدتنى لأقوم بما فعلت مع الفاسقين، وحرق المدرسة لتصبح عبرة لكل من تسول له نفسه ظلم الأبرياء ولتكون عبرة لذوى النفوس الضعيفة الذين يستغلون ما بأيديهم ويخونون الأمانة معتمدين على مناصبهم ونفوذهم لتحطيم الضعيف والمريض واليتيم .. كل همى أيها الشيخ الطيب أن أعرف أين ذهب هذا الشاذ الذى حطم حياتى ومزق نفسى وهتك كرامتى وأذلنى فعندما رأيت صورته وعلمت صلة قرابته لزوجتك عادت لى حالة الرغبة فى الانتقام والهياج والغضب والثورة فكانت هذه هى المرة الثانية التى يحدث لى كل ما رأيته، أنا أيها الشيخ الطيب لم أكن فى اللاشعور بالعكس كنت أشعر بكل ما يحدث لى وأقاوم بعنف الشر الذى بداخلى ذلك الشر الذى نتج من ظلم الحياة لى ولأمى، ظلم أبى وحرمانى منها وقتلها أمام عينى وما فعلته ما هو إلا دفاعا عن نفسها وعنى والمسئول الأول عن هذا العذاب هو أبى فبسببه تجرعت الألم والذل والعذاب والهوان ولن أغفر له ذلك أبدا، وأضاف عزيز وعندما أحرقت المدرسة أبيت أن أحرق المكان الذى صلبت فيه الصبية الشواذ لكى يراهم كل الناس ويقرؤا ما كتبت على

صدورهم إنهم هاتكو الأجساد والآن يا خال هل لك أن تفسر لى ماذا بى .

قال الشيخ سأجتهد فى ذلك يا بنى وسأرد على كل أسئلتك، والآن ماذا بعد هروبك بالطفل أين ذهبت ؟ قال عزيز حملت وحيداً بين يدى وكنت حينذاك فى سن صغير لكن ما بداخلى كان عملاقا ليس له نظير عملاقا ولد تدريجيا على يد الظلم والقهر تربى داخلى يوما بعد يوم وساعة بساعة حتى أصبح البركان الذى انفجر وحطم الجميع . إن وحيداً ليس أخى من أمى وأبى ولكنه كقطعة من لحمى ودمى وهو بالنسبة لى كل الحياة إنه وحيد مثلى أمه راقصة أنجبته بعيدا عن والده الذى تسبب فى وجوده فى الدنيا ثم ترك زوجته وهرب وذهبت والدة وحيد تسعى وراء الشهرة والمال وألقت به فى المدارس الداخلية. وبعدما وصل لسن الابتدائى أتت به إلى مدرستى عن طريق خادمها فلم تكن هى الأخرى تريد وحيدا وعندما علمت أنهم سيعذبونه حتى يخضع لهم ويفعلوا به ما فعلوه بى دافعت عنه وكأنى أدافع عن كيانى احتضنته وكأنى أللم شتات نفسى الضائعة هربت به لأمنع الظلم عنه وأرد اعتباره.. لقد أحببته كثيراً فبفضله تغلبت على ضعفى وخرجت للحياة، لقد حملته بين أحضانى وسرت به طول الليل أنتقل من مزرعة إلى مزرعة وعندما نال

منى التعب، بحثت عن مكان أنزوى فيه لأستريح فوجدت دروة تقى عمال المزرعة من الشمس وضعت فيها وحيداً وذهبت إلى الطلمبة التى تدفع الماء لتروى الأرض اغتسلت وغسلت ملابسى التى علقت بها دماء الأشرار وتركتها تجف حتى الصباح ثم ارتديتها وأيقظت وحيداً الذى حباه الله نوماً عميقاً أو قد يكون سبحانه جعله فى هذا السبات حتى لا يرى هيئتى والتغيرات التى حدثت لى فيخاف منى. استيقظ وحيد وقال شكرا لك لقد أنقذتنى من الأشرار إنى أتساءل لماذا كانوا يضربوننى أنا ما فعلت لهم شيئا قلت.. وأنا كذلك يا وحيد. أريد منك أن تعاهدنى فأجاب بكل تأكيد قلت من الآن أنت أخى ولن نقول لأى إنسان ما حدث ولن نذهب إلى المدرسة مرة أخرى، سأرعاك قدر استطاعتى وسنعيش معا فى بيت عم عزيز عم والدتى فى مكان بعيد عن هنا وعن كل الأشرار فلا تحمل للدنيا هما. فقال وحيد وهو سعيد بما يقوله له سليم على الرحب والسعة يا أخى لن يعلم عما حدث لى أى إنسان وهذا عهد، قال سليم إن اسمى سليم لكنى من الآن سأسمى نفسى عزيز لأنى أحب هذا الاسم فما رأيك؟ قال مادمت تحبه أنت فسأحبه أنا الآخر. قبله سليم فوق جبهته وقال له أظنك جائعا قال فعلا إنى جائع .. وعليه أخذته وخرجنا إلى الطريق المرصوف الذى تمر به السيارات وأثناء انتظارنا لسيارة تقلنا أنا ووحيد إلى

الجنوب مر بعض الفلاحين الذين يبيعون منتجات المزرعة من الفاكهة الطازجة وقمت بشراء كمية لا بأس بها ووضعتها فى أكياس وجلسنا نأكل منها إلى أن تمر بنا إحدى هذه السيارات. وفعلا استأجرت سيارة لنا فقط وقطعنا الطريق فى ساعات طويلة ونمت نوما عميقا حتى وصلنا الى الربوة فى أمان الله .. مكثت أنا ووحيد مدة طويلة داخل المنزل الذى به كل احتياجاتنا وبالنسبة للطعام كنت أذهب كل أسبوع إلى الأسواق وأشترى ما نحتاجه وأعود أدراجى مرة أخرى أطعمت وحيد وألبسته وكنت أراعيه وألاعبه على الكومبيوتر الخاص بى وأحيانا نتعلم بعض اللغات وذات يوم خبأت النقود التى كانت فى الحقيبة فى مكان يصعب على أحد أن يعرفه وأخذت وحيد وذهبنا إلى النهر نطلب عملا فعملت على مراكب الصيد وكنت وأخى مثال الأمانة والنشاط والذكاء فنلنا ثقة أصحاب العمل وكنا كلما نذهب للصيد نعود برزق كبير حتى أن الصيادين أصبحوا يستبشرون بنا وتعلمنا وكبرنا فى هذه المهنة وذات ليلة قلت لوحيد ماذا لو تعلمنا شيئا جديدا فقال وحيد مثل ماذا قلت له غدا سنذهب إلى الأسواق النوبية وسوف ترى ماذا سيفعل أخيك وفعلا ذهبنا إلى الأسواق النوبية وتعلمنا الرسم على البردى وعلى القمصان وعلى الزجاج وبعد نجاحنا فى هذا المجال اشتريت أنا وأخى محلا صغيرا أخذ يكبر شيئاً فشيئاً وساعدنى ما معى من

مال وأصبحت أنا ووحيد نصنع بعض العطور والسجاد اليدوى بمساعدة بعض الفنيين ونبيعه للسائحين، كبرنا مع الزمن وكثر المال واشتركت فى شراء مراكب للصيد ثم تعددت المراكب واتسعت تجارتى فى الأسماك الطازجة والمعلبة بين الحين والحين كنا نذهب إلى بيتنا بالربوة وكان وحيد أغلى شيء فى حياتى حتى أصبح شابا وسيما يكن لى كل الاحترام والحب والوفاء لقد أصبحت تاجراً يشهد له بالأمانة ودماثة الخلق والطيبة.. ومرت السنون بعدها اشتريت هذه الفيلا ثم المزرعة وبارك الله فى رزقى ورزق وحيد .. أنا وهو رجل واحد وكلمة واحدة صدقا وأمانة كل من يعرفوننى ويعرفون وحيدا يتحاكون بحبى له واحترامه لى، وهاهو وحيد تزوج من ابنة أكبر تجار البلد إلى أن جاء يوم زفافه وأنت تعلم الباقى .. طوال هذه المدة وأنا أبحث عن عدوى اللدود فى كل مكان لكن للأسف أول مرة تقع عليه عينى عندما رأيته فى تلك الصورة التى كانت معك وما أغضبنى أن صورة أشد أعدائى يحملها أعز أصدقائى وأنا أعلم جيدا أنه لا ذنب لك يا صديقى العزيز وهذه هى قصتى .

شهوة القتل

تنهد الشيخ فى حسرة وألم وقال اسمح لى يا ولدى أولاً سأظل أناديك (عزيز) فهذا الاسم له وقع خاص فى نفسى. قال الشاب لك هذا يا خال إنى أناديك خالى لأنى أحب أمى وكل من ينتسب لها ولا أريد أن أقول يا عمى حتى لا أتذكر أبى أبدا، قال الشيخ أنا خالك وصديقك وراعى مصالحك وكاتم أسرارك فلا تيأس من رحمة الله يا عزيز واستطرد الشيخ عبد الودود قائلا والآن يا ينى سأوضح لك الأمور حتى يهدأ بالك ويستكين فؤادك .. ابن زوجتى هو مشرف المدرسة والمتسبب فى كل ما حدث لك قد رآك وأنت فى حالة الثورة العارمة وتعطشك للانتقام كما رآك وأنت تبحث عنه فى كل مكان ووجهك ملطخ بالدماء ولم يتعرف عليك هو الآخر تخيل أنك مجنون أو شيطان يهاجم المدرسة ويريد أن يفتك بكل الموجودين ففر إلى الممر المؤدى من بدروم المدرسة إلى الشارع الخلفى وهو ممر سرى للطوارئ وبعدما اشتعلت النيران بالمدرسة وامتلأ المكان بالناس والشرطة وسيارات

الإسعاف اختبأ وسط الناس، ورأى الصبية مصلوبين على سور المدرسة والدماء تنزف منهم والعبارات المكتوبة على صدورهم والصبية وهم يصرخون فى هلع ورهبة وخوف إنه الشيطان إنه الشيطان ورآهم وهم ينقلون إلى سيارات الإسعاف عاد مرة أخرى إلى الممر ثم الشارع الخلفى وكتب رسالة لوالدته شرح فيها كل أفعاله المشينة، وقال لها ربما أرسل الله ما يطهرنى ويطهر المدرسة بكل ما يحدث فيها من إثم وذنب ثم قال رغم أنى لا أعرف من هذا الذى هاجم المدرسة بكل هذه الوحشية لكنى أشكر الله لأنه أراد أن أراجع نفسى وأراجع ما فعلت ربما يقبل توبتى والآن يا أمى سأضع حدا لأفعالى وسأنهى حياتى بيدى .. سامحينى يا أمى واطلبى لى الرحمة.. كانت هذه هى الرسالة التى قصمت ظهر زوجتى وكانت السبب فى مرضها الشديد حتى أراحها الله برحمته. وتكتمت أنا الرسالة وأخفيتها ولم أبح لأحد بمحتوياتها حتى هذه اللحظة والآن يا ولدى اطمئن عدوك مات منذ سنوات طويلة وحسابه عند الله كبير فهو الحق والعدل والمنتقم، اهدأ يا بنى واطمئن إن عين الله لا تنام

الخبر الثانى إن الصبية الأشرار لم يمت منهم أحد كلهم على قيد الحياة لكن حالة بعضهم العقلية مضطربة وبعضهم استمر فترة طويلة تحت العلاج النفسى المكثف

ولم يصل أى منهم إلى ما وصلت له أنت إنهم على قيد الحياة لكنهم يفضلون الموت على هذه الحياة إن الله منتقم جبار وهذا جزاء كل من تسول له نفسه أن يعتدى على إنسان ضعيف ويسلبه ماله أو كرامته أو عزة نفسه . جزاء كل من يعذب يتيماً والله سبحانه وتعالى أوصى باليتيم .جزاء من يستبيح حقاً ليس من حقه أو يخالف ما أمر به الله . جزاء أى مسئول يستهين بالإنسانية ويستغل موقعه ويهين الإنسان الذى كرمه الله على كل المخلوقات، أتذكر يا عزيز يوم أن قلت لك إنى كنت أعمل فى وظيفة موزع أغذية على المصالح الحكومية والمدارس، كانت مدرستك واحدة من هذه المدارس وكنت قريبا من الأحداث كلها ورسالة ابن زوجتى كانت حافزا لأن أتابع مجريات الأمور، لقد تحطم هذا الصرح الذى كان يجب أن يكون عظيما فى العلم يحوى بين جوانبه الأخلاق والتربية لقد أصبح الآن أطلالا لا يقوى أحد على أن يعيد بناءه لخوف الناس من الأحداث التى دارت به . وسأل الشيخ عبد الودود ألم تأخذك قدماك إلى هناك أبدا يا عزيز .. قال لا .. لا أريد أن أراها مطلقا . ابتسم الشيخ وقال الآن أوضحت لك كل الأمور وكانت كلها فى صالحك والله وقف بجوارك وأخذ لك حقك، عد إلى نفسك يا بنى .. قاوم ما بداخلك قدر المستطاع. قال عزيز ما بيدى يا شيخى العزيز إن بى شيئا غير عادى أحاول أن أهرب منه دون فائدة لكنى سأحاول قدر

استطاعتى . هدأ سليم أو عزيز عندما طمأنه الشيخ عبد الودود على أخبار عدوه اللدود وأتباعه وأخبار المدرسة بعد الحريق، المدرسة التى أصبحت رمزا وشاهدا على ما كان بها من الفساد وهذا أقل شيء يستحقه أصحاب هذه المدرسة لأنهم أساءوا الاختيار وأهملوا المتابعة، سأل سليم المعروف الآن بعزيز الشيخ عبد الودود ما رأيك بالموضوع هل يمكنك أن تجد تفسيراً لما يحدث لى من تغيرات؟ قال نعم ولنبدأ ببحث الأمر بهدوء فنحن بصدد مشكلة خطيرة . أولا حالتك المرضية فعندما ذهبنا إلى المستشفى وأخذت عينات من دمك وأجريت لك أشعات على المخ وخاصة عندما أخبرت أنا الأطباء أنك قد سقطت على رأسك فى البحيرة وبعدها أغمى عليك وحرارتك التى ارتفعت، مخفيا عنهم فى نفس الوقت ما شاهدته من القوة الهائلة التى انتابتك وقتها وكانت التحاليل والفحوص فى بادئ الأمر لا تصدق مما أثار دهشة وتعجب الأطباء ولما أعيدت التحاليل والأشعات مرة أخرى بعد أيام أسفرت على أنك فى حالة صحية ممتازة لقد سهرت بعدها طوال الليل أفكر فى هذه النقطة ووصلت إلى أنه أثناء غضبك وانفعالك فإنك تنتقل من السكينة والهدوء إلى العنف ثم تعود لحالتك الطبيعية بعد وقت وهذا يفسر أن غضبك المكبوت وتعطشك للانتقام والأخذ بالثأر لكرامتك التى أهدرت على أيدى الأوغاد جعلتك كبركان ثائر كقنبلة

موقوتة على وشك الانفجار لكن الغضب وحده لا يجعل الإنسان يتغير جسديا ويصبح بكل هذه القوة التى مكنتك من اقتلاع الأشجار من جذورها وتحطيم كل ما تجده فى طريقك لقد حدث لك شيء ما بالفعل وحسب معلوماتى التى توارثتها عن أبائى وأجدادى عن هذه الأمور يخيل لى أنك عندما قفزت من الأدوار العليا لتفتك بزملائك الفاسدين الفارين سقطت على جنى من سكان المكان وهو الذى وصفته أنت بأنه الجسم أو الكائن أو الشيء الذى سقطت فوقه وكان ملتهبا وانتقلت حرارته لك .. وأعتقد أن هذا الكائن كان جنى ويسكن جسدك الآن ثم ينهض وينتعش عند ثورتك وغضبك فيزيد منهما ويجعلك كالمارد وهو يظهر فى هذه الأثناء غضبه وقوته وقبحه فيك لذا عندما شاهدك الصبية الأشرار قالوا إنه الشيطان لأنك فعلا كنت هو وتوارى سليم الهادئ الوديع خلف صورته وظهرت بالصورة الوحشية التى عرفناها. فأنت عندما لمست الجنى امتلكته فأثار فيك القوة والشراسة وساعدك لتنتقم بوحشية على النحو الذى تعرفه وفى هذه الحالة تكون أنت تحت سيطرته فيظهر فى شخصك حتى تنتهى المشكلة فتعود عزيز الوديع رجل كل المواقف ويستكين هو منزوٍ . ارتجف عزيز وقال أبداخلى جنى، قال الشيخ بسرعة نعم ولكنك تسيطر عليه تماما ما دام لا يوجد ما يثير غضبك بصورة عنيفة، والآن سنذهب بسرعة إلى ذوى

الخبرة فى هذا الشأن وسنجد الحل والعلاج ومنهم الكثير وأتمنى أن يكون تحليلى هذا صحيح والله سبحانه وتعالى قادر على تخليصك إذا كان تفسيرى مضبوط .

قال عزيز إنى أصدقك يا خال أحيانا أهب من نومى مفزوعا على صوت يطن فى أذناى قائلا خلصنى أريد أن أذهب لحالى، عندئذ أتوضأ وأصلى وأقرأ كثيرا فى القرآن.. فما دام هذا هو ما حدث أو ربما يكون قد حدث فكيف سأكشف عن نفسى وأين نجد هؤلاء الشيوخ وكيف أواجه المجتمع بعدما تشيع قصتى بين الناس. إن قصتى عار علىّ وعلى كل من ينتمى إلىّ، إنى حتى هذا الحين لم أفكر مطلقا من الاقتراب من أية فتاة للاقتران بها ويكون لى زوجة وأطفال. وهذا يجعلنى أخاف وأبتعد مما سيحدث لى أمام زوجتى أما وحيد فهو الابن والحبيب والأخ والصديق كيف سأواجهه وكيف يحترمنى بعد ذلك وزوجته وعائلتها ووالدها وهو أكبر تاجر فى البلاد وأغنى رجل فى الجنوب ماذا سيقولون عنى لو عرفوا كل هذا . لا . لا لن أفشى سرى لأحد ولن أهين نفسى مرة أخرى سأعيش حياتى وأرضى بقدرى والمكتوب، ونزلت دموعه تجرى بغزارة كان حزنه هائلا وكلماته نابعة من قلب مفعم بالأسى وتدارك الشيخ الصبور الموقف بسرعة وقال لقد كنت المظلوم ولست الظالم، المقهور ولست القاهر، المغلوب

على أمره ولست صاحب الأمر، كم من ملوك وأمراء وعظماء عذبوا فى الحروب وأهينت كرامتهم وسحقت تحت الأقدام كم رجال عظماء فى المراكز والمسئولية أسروا وعذبوا وسحلت أجسادهم وهتكت أعراض نسائهم أمام أعينهم لقد أذلوهم حتى مسخت ملامحهم وكبرياؤهم لكن لم يدم هذا طويلا فالله غالب وليس مغلوبا وسبحانه يمهل ولا يهمل وإن ربك بالمرصاد، الآن أنت تعرف أن حالتك ليست فريدة فى نوعها أريدك أن تتحلى بالصبر وسنترك كل هذا جانبا وبعد أن نهدأ سنضع النقاط فوق الحروف وبعدها سنجد العلاج المناسب والمكان والوقت المناسب وسيكون الشفاء بإذن الله، واطمئن يا بنى سرك فى قلبى سيدفن معى وأقولها لك للمرة الثانية سرك فى قلبى إنك ابنى وصديقى . فهل تشفق على رجل عجوز مثلى وتدعنا نخرج إلى الهواء الطلق نملأ رئتينا به بعد هذه الجلسة الطويلة ونشرب شيئا مثلجا ينعشنا، فضحك عزيز وقال لك هذا أيها الحبيب الطيب ثم قال فى نفسه الحمد لله الذى ساق إلى هذا الانسان النبيل إنه رجل عظيم ولحديثه سحر يشفى الجراح الملتهبة.. مضت الساعات الباقية متباطئة تشوبها لمسة من الحزن تملأ قلب سليم الرجل ذي المبادئ الطيب الراهب فى محراب حبه لوحيد الذى هو كل حياته، كما أنه لم ينس أبدا والدته دولت هذه الشهيدة التى لم تجن شيئا غير حبها لابنها، أخذت الذكريات تطارد سليم من يوم

أن كان طفلا فى الثامنة من عمره وحبه للكومبيوتر وشقاوته مع والدته وهروبها من المنزل فى مغامرة ناجحة وما آل إليها من مال عمها عزيز الذى استعار سليم اسمه لحبه لهذا الرجل الكريم وحب أمه له وساقه الحنين إلى بيته الذى ورثته دولت عنه، البيت الهادئ الذى يحمل فى أركانه كل ذكريات أمه وحبها لموقعه فوق الربوة، ودمعت عينا عزيز عندما تذكر الشجار والعراك الذى أدى إلى قتل الاثنين وكانت لحظات مخيفة لا يحتملها أى طفل مهما كانت قوته ثم ذهب بتفكيره إلى المستشفى والعلاج المكثف لشفائه من الخوف والضعف وفقدان النطق والانهيار ثم من الحزن إلى البسمة والإشراق والأمل فى الشيخ عبد الودود الذى ساقته الأقدار ليكون له الحارس الأمين والصديق المخلص وشكر فى قلبه وحيداً الذى يدعوه أمام الجميع أخوه وتذكر الفرح واللمة والبوفيه والموسيقى وسفر أخيه مع زوجته ثم جال بخاطره التحليل المنطقى الذى أورده الشيخ عن حالته وانتقام الله من الذين دمروه وأخيرا شكر الله على كل ما هو فيه من صحة ومال وصحبة وعائلة وأصدقاء ونفوذ..

الوفاء النادر

فى صباح اليوم التالى كان الشيخ عبد الودود جالسا بملابس نومه فى الفراش وبجواره فنجان قهوته وبيده سيجارة يدخنها فى صمت .. إنه لم ينم طوال الليل بعدما تركه عزيز ظل مستيقظا ليجد الحل المناسب لعلاج صديقه وتطهير نفسه من أى شر قد يكون أصابه وفى الوقت نفسه يريد أن يحفظ سر عزيز ولا يطلب العون من أى إنسان لا يعرفه جيدا يمكن أن يفشى سر الرجل الشيء الذى يقتله حزنا وهما وربما يختفى من الدنيا كلها . قال الشيخ فى نفسه اللهم لا أسألك رد القضاء بل أسألك اللطف فيه فألهمنى الحل والصواب لأرد لهذا الرجل بعض ما طوق به عنقى من جميل، وعند آخر رشفة من فنجان قهوته هب الشيخ وارتدى ملابسه وذهب مسرعا دون أن ينتظر عزيزاً وكان مسرعا لدرجة أنه اصطدم بحارس الفيلا ولم يلق عليه التحية الشيء الذى أثار عجب الحارس لأنه غير معتاد على أن يرى الشيخ بهذا التركيز الشديد .. وصل

عبد الودود إلى السنترال وأجرى مكالمة هاتفية لابنته التى أخذت تهلل وتضحك وتقول أهلا أهلا يا أبى تذكرت أخيرا أن لك ابنة اسمها ثريا وقوبلت ضحكاتها وفرحها بقبلات والدها المسموعة عبر التليفون، قال الشيخ هلى وافرحى أكثر لقد صممت على الحضور لزيارتك أنا وصديق لى تعرفت عليه مؤخرا، رجل شاب ذو مركز ومال ووفاء ولك عندى مفاجأة بالنسبة للبيت الجديد والأرض لكنى أريد أن أبلغك بذلك وأنت أمامى لأرى السعادة على محياك ووجهك الجميل .

سعدت ثريا لهذه الأخبار وقالت صحيح يا أبى أيها العجوز الجميل قال نعم أرسلى لى تذكرتي طائرة وبسرعة، لحين أستعد وإذا لم يكن لديك مكان لصديقى فاحجزى حجرة لكل منا في فندق قريب، وعند حضورى سيدفع لك صديقى كل شيء ثم أعطاها العنوان الجديد، قالت الابنة ولماذا هذا التجريح أنا لها يا أبى فمعى من المال ما أحجز به تذاكر الطيران لك ولكل أصدقائك فلا تخف وراءك رجال .. قال الشيخ بارك الله فيك وإن شاء الله عندما أحجز الميعاد سأتصل بك لأخبرك .. ورجائى يا ثريا عندما تقابلى السيد عزيز عند حضورنا أن تقابليه بترحاب شديد لأنه أنقذنى من أشياء كثيرة وساعدنى بأمانة وإيمان

وأجابت ثريا إنى فداك يا أبى الحبيب وكل ما تأمر به مطاع بإذن الله .. ارتاح الشيخ لهذه المكالمة وقال في نفسه : والآن يا عزيز استعد للمفاجئة ..

أبلغت ثريا كل أصدقائها بزيارة والدها التى سوف يقوم بها قريبا وسعد صاحب العمل الهندى بخبر قدوم والد ثريا لأنه كان يحترم حب ثريا لأبيها، عندما عاد عبد الودود إلى فيلا عزيز وجده مضطربا ينتظره فى قلق خاصة عندما سأل عنه الحارس وقال له ما حدث فى الصباح، وعندما رأى عزيز الشيخ انفرجت أساريره وقال أين كنت يا خال .. قال الشيخ لك عندى مفاجأة يا عزيز وقص عليه ما حدث، بهر عزيز لما قاله الشيخ وقال لكنى لم أفكر مطلقا فى الابتعاد عن أرضى ومالى أو حتى استخراج وثيقة سفر، قال الشيخ إنها الهند يا عزيز بلاد جميلة وهواء جميل وأناس طيبون وهناك سنتنزه وندخل السينما ونرى أفلاما هندية عظيمة تجعل قصتك ضئيلة بالنسبة لما تراه فضحك بصوت مرتفع لأول مرة وقال للشيخ أأذهب إلى الهند من أجل أن أدخل السينما لماذا هناك الدخول أرخص من هنا وماله الفيديو والأشرطة المتراكمة لهذه القصص . قال الشيخ لا تراوغ يا عزيز ستذهب بالأمر، هيا نستعد، يكفى أنك ستتعرف على ثريا ابنتى. وتأبط الرجلان بعضهما ولم يتمكن عزيز من الرفض بالعكس قال

فى نفسه ربما خروجى يحل المشكلة وتغيير الجو مطلوب ولن أخسر شيئا، وبسرعة استخرج عزيز جواز السفر عن طريق محاميه الذى ساعده فى ذلك وأصدر أوامره للسائق ليحجز التذاكر والميعاد ثم أخبر الشيخ عبد الودود بما تم وقال الشيخ لكن ابنتى ثريا فى طريقها لأن ترسل لى التذاكر. قال عزيز سنخبرها الليلة بميعاد سفرنا ونطلب منها عدم حجز التذاكر لأنى بالفعل حجزتها ألا تعتبرنى مثل ثريا ابنتك على الأقل أنا رجل. وابتسم الشيخ هكذا أنت دائما تغلبنى بأسلوبك النبيل، وبالفعل علمت ثريا بالقصة كاملة واستعدت لتقابل والدها وصديقه، كانت ثريا تعيش فى منزل بالدور الأول الذى به شقتان تعيش فى شقة تطل على مدخل المنزل والأخرى لفتاة هندية زوجها يعمل بالصحافة ومن طبيعة عمله التنقل والتأخير والمواعيد غير المنتظمة وكانت هذه الهندية فى مثل عمر ثريا واسمها سراما، كان بيتهم جميلاً نظيفاً يقع خلفه جبال شاهقة الارتفاع تكسوها الخضرة الزاهية من كل جوانبها ويتوسط هذه الخضرة ألوان من الورود والأزهار الزاهية علاوة على الطبيعية الخلابة والسماء الصافية والطيور المغردة، كانت ثريا تقطن هذا البيت بعدما تركها زوجها وأرسل لها قسيمة الطلاق لارتباطه بغيرها، ورغم كل الحب الذى كانت ثريا تكنه لزوجها إلا أنه بمجرد أن امتلأت جيوبه بالمال تركها ورحل عنها

دون رحمة فى بلاد غريبة دون مال أو عمل تستند عليه مع أنها كانت ربة بيت جميلة مطيعة ومتدينة وتحمل شهادة فى الفنون التطبيقية من الجامعة المصرية بكت ثريا ابنة الشيخ عبد الودود وانتابتها الأحزان وهاجمتها الكوابيس وجافاها النوم وكانت المسكينة وحيدة غريبة عن بلادها كلما أسدل الليل ظلامه وعم الكون كانت تتأوه وتصرخ وتبكى ثم تنام من التعب وظلت هكذا مدة طويلة تكابر وتعاند وتتحمل عذاب الوحدة وأبت أن تعود لوطنها ووالدها خوفا عليه وعلى صحته عندما يعلم بطلاقها ويرى الحزن يفتك بها ولم تعلم ماذا تفعل والمال الذى تبقى معها أخذ يتسرب من بين يديها. جلست ثريا فى شرفة المنزل تفكر بعمق فى مشكلتها وكيف ستواصل حياتها بالهند وهى بدون عمل .. وأثناء ذلك سمعت وقع أقدام أمام شقتها فتلصصت خلف الباب ونظرت من العين السحرية وفجأة دق جرس الباب دقات متتالية ففتحت على الفور ودون تردد لأنها تيقنت أن من بالباب هى جارتها سراما، ووجدت سراما ثريا فى حالة الحزن الشديد ولمحت دموعا فى عينيها فاستأذنت فى الدخول وسمحت لها ثريا مرحبة، قالت الجارة مالك يا جارتى العزيزة أسمعك ليلا تبكين ولا تخرجين ولم أر زوجك منذ فترة طويلة، رجاء اعتبرينى صديقتك وأخت لك فى الشدائد وقصت ثريا عليها قصتها وطلاقها ووحدتها وعدم وجود مال

معها وخوفها على والدها والكوابيس التى تقتلها كلما نامت مما يجعلها تجلس خارج حجرة النوم حتى الصباح وهذا أرهقها كثيرا .. احتضنت سراما ثريا وقبلتها وقالت لها هيا اغتسلى وارتدى ملابسك فأنت مدعوة معى اليوم سنذهب إلى عملى نقضى بعض الساعات ثم نتناول الغذاء فى مطعم صينى يقدم أكلات رائعة وسنزور أحد أقاربى بالجبل ثم نعود فأبيت معك ومن الآن لن أتركك تنامين بمفردك، وأضافت أن زوجها يأتى مرتين فى الشهر وهى الأخرى محتاجة لمن يؤنس وحدتها .

ابتهجت ثريا لطيبة قلب سراما وتوددها لها وقبلت فكرة الخروج معها دون تردد واستعدت كل منهما للخروج، وذهبتا معا إلى عمل سراما واستأذنت سراما صديقتها ودخلت إلى مدير العمل وطلبت إسناد عمل لجارتها المصرية التى تتكلم الإنجليزية وعندها خبرة فى الحياكة والرسم وشهادة جامعية وطلب المدير رؤيتها أتت إليه وأعطاها أوراقا وأقلاما لتصمم له بعض الرسومات على مفارش من القطيفة التى ستطرز بالخيوط الذهبية (السيرما) وكانت ثريا رائعة إلى أبعد الحدود ورسمت لوحة فنية أدهشت المدير الذى بدوره عرض هذه الرسومات على صاحب العمل الذى أدهشه فن وذوق اللوحة وابتهج لها كثيرا وكانت مفاجأة بالنسبة لثريا لأن الرجل أسند

لها عملا وابتسمت سراما خلسة لأنها أثناء استعدادها للخروج اتصلت تليفونيا بصاحب العمل وقصت حكاية ثريا له وطلبت منه مساعدتها وقد عينها وأعطاها مرتب شهر مقدما أتمت سراما كل هذا دون علم ثريا، أما المفاجأة الثانية أن صاحب العمل هو والد زوج سراما الذى كان يحب سراما كثيرا ولا يرفض لها طلبا لأنها زوجة ابنه المطيعة المخلصة وهكذا وبسرعة وجدت ثريا العزاء فى سراما صديقتها وهى التى كانت تبكى منذ لحظات لخوفها من الوحدة والفكر بعد ذلك ذهبت الصديقتان معا إلى المطعم الصينى بالجبل وتناولا الوجبة الشهية كان الوقت فى منتصف النهار فأشارت سراما إلى صديقتها بأنها ستذهب إلى الجبل لزيارة شيخ كهل يعيش فى صومعة أعلى الجبل فقالت ثريا لكن الطقس حار الآن وبخفة دم ودعابة أجابت سراما هيا لا تتكاسلى إن الموضوع يخصك ربما يعجبك الكهل وتكونى عروسه وغمزت لثريا بعينها لكى ترفه عنها وتجعلها توافق على الذهاب إلى صومعة الشيخ وفعلا صعدتا ووجدت ثريا الرجل دمث الخلق برئ المظهر وله وجه أسمر ولحية تصل إلى نصف صدره وشعر بلون الفضة طويل يعقده خلف ظهره . ألقت ثريا التحية على الشيخ فى أدب جم فابتسم لها ابتسامة عريضة وقال فى خبث هل وجدتنى عريساً مناسباً أم وجدتنى جداً وتراجعت ثريا فى خوف وقالت فى نفسها يا إلهى أسمعها

الكهل وهما يتجاذبان أطراف الحديث على كل هذا البعد .

وفى لحظة اقترب الكهل من ثريا ووضع يده فوق جبينها وقال لا تشغلى فكرك فأنا لدى علم غزير، واستطرد قائلا تبكين الليل كثيرا وتنامين حزينة وتصرخين فى وحدتك يا مسكينة إنها ليست نهاية العالم من ألقى بك أهمليه، ومن عذبك ارفعى أمرك لله، فالله موجود فى كل الوجود. خذى من ضعفك قوة ومن خسارتك مكسبا وابحثى لنفسك عن شيء يشغلك وسيأتيك النصيب قريبا فلا تندمى. وقرأ عددا من الآيات القرآنية، ثم كتب بعض الطلاسم والأرقام فى ورقة وجعل البخور يتخللها، ثم وضع الورقة فى كوب به ماء لبعض دقائق وأعطاها لثريا فشربت كوب الماء، ثم أمسك الشيخ بعض الأعشاب والحبوب المطحونة ومزجها فى زجاجة بها عطور مختلفة كالمسك والعنبر والزهر وأخذ منها ملعقة أذابها فى كوب آخر من الماء وكانت يد الكهل ترتجف لكبر سنه لكنه كان هادئاً رزيناً يرسم على وجهه ابتسامة مما طمأن ثريا فامتثلت فى طاعة للكهل لقد أغضبت ملائكة بيتك بكثرة بكائك وفى هذا الماء الذى تبقى فى الكوب خيرا إن شاء الله انثريه فى الشقة ولا تبكى مطلقا أثناء الليل واقرئى كثيرا من القرآن ففيه شفاء للنفس وأكرر لك يابنيتى إياك والصراخ والبكاء وثقى فى الله . وهمت ثريا بعد كل هذا لفتح حقيبة يدها

فقال لها إنه مرتبك الأول فكيف أجرؤ وأستقطع منه شيئا إنه عمل تطوعى فقط اطلبى لى الرحمة فى صلاتك وأكثرى منها وسبحى بحمد الله. قالت ثريا لا يجب أن أدفع لك أتعابك ويكفينى شفافيتك وعلمك إنك عالجت جسدى وشفيت نفسى وطهرت روحى بكلماتك وإيمانك الرائع، إنك عالم حافظ للقرآن الكريم فقد علمت هذا من طلاقة سردك للقرآن الكريم فقال لها الكهل إنى مسلم وعشت عمرا طويلا فى مكة المكرمة، وتلقيت العلم هناك يا ثريا . فقالت ثريا إذا تتقبل منى على الأقل قيمة العطور التى شربتها الآن فأجاب الكهل ستدفعى أتعابى آجلا وليس الآن فسيأتى حبيب سيدفع بدلا منك وأيضا سيكون كوب من الماء طالما تمنيتيها .. اذهبا الآن فى رعاية الله وطارت الصديقتان كالفراشات هابطتان من الجبل ولم تعلم ثريا ماذا قصد الشيخ من هذه الألغاز ومن هذا الحبيب الذى سيدفع له أتعاب ما قام به من عمل ليشفيها لكنها ألقت بكل هذا جانبا عندما هبطت من الجبل مع سراما..

بعد أيام قليلة والشمس تغرب، وترسل أشعتها الذهبية فى انسيابية وجمال لتغطى خيوطها قمم الجبال خرجت سراما وثريا فى سيارة أجرة إلى المطار بالعاصمة نيودلهى لتستقبل والدها وصديقه وكان لقاء ما بعده لقاء لقاء الأب وابنته لقاء من الحب والدموع والأحضان الدافئة ورجفة

من حرارة اللقاء، ثم هدأ الشيخ عبد الودود وثريا وجففا دموعهما وبسرعة اعتذرت ثريا لعزيز وقالت عفوا إنه والدى، مرحبا بك يا صديق الغالى، ورحبت ثريا بعزيز واحترمها عزيز من أول وهلة لما رآه من الحنان الجارف بينها وبين والدها، الحنان الذى حرم منه منذ طفولته . قدمت ثريا صديقتها سراما لأبيها وقالت إنها توأم روحى هى من قصصت عليك حكايتى معها إنها ولية نعمتى -بعد الله طبعا -وهبتنى العمل والمال والثقة بالنفس والراحة أطال الله لى عمرها، سلم عبد الودود على سراما بحرارة وشكرها وقال لها إنها بركة دعائى أن تجد ابنتى فى الغربة صديقة مثلك رغم اختلاف النشأة والعادات والتقاليد لكن يكفى أنكما صديقتان مخلصتان فى زمن أصبح الوفاء فيه من العملات الصعبة . ذهب الجميع للسيارة التى أخذت تسير بين الجبال والشوارع والأسواق إلى أن وصلوا بعد ساعتين واندهش الشيخ وعزيز من جمال الطبيعة وغزارة الأشجار والزهور والناس وملابسهم الزاهية والشوارع النظيفة والوجوه الباسمة، دخل الشيخ متأبطا ذراع عزيز ثم دخلت ثريا وسراما خلفهما وبسرعة كانت المائدة معدة إعدادا فاخرا وجلسوا جميعا يأكلون بشراهة بعد رحلة طويلة وبعد انتهاء الطعام انتقلوا إلى شرفة كبيرة بها مجموعة من العصافير فى أقفاص جميلة وأزهار لها عطر يريح النفس ويبعث على البهجة وصفقت ثريا

بيديها قائلة ماذا تشربون الآن فطلب والدها عصير ليمون وطلب عزيز قهوة وسراما شاى أخضر بالنعناع الطازج وبسرعة قامت بإعداد المشروبات وأمسكت بالصينية وهى تحملها بيد واحدة وتقول بدعابة فى خدمتكم يا سادة كما لو كانت نادلا فى أحدى الحانات فضحك الجميع من خفة دمها ثم قالت والله يا أبى لقد أضفت على حياتى سعادة كبيرة أطال الله فى عمرك وعمر عزيز ثم استطردت بعد أن ننتهى من هذه المشروبات سأذهب لأنام فى شقة سراما، وشقتى هذه لكما طيلة وجودكما بالهند .فرد عزيز أنا لا أريد أن أقلق راحتك غدا سأحجز فى فندق قريب منكما.. غضبت ثريا وقالت لا لن يكون هذا أبدا هيا لتأخذوا قليلا من الراحة وبعدها نستعد لعمل جولة مدروسة بدقة لتشاهدوا أسواق المدينة ونشترى بعض الفاكهة لنأكلها أمام التليفزيون أما غدا فنحن مدعوون على الغذاء عند صاحب العمل والد زوجة سراما على شرف زيارتكما لبلاده .. إنه شيخ هندى على درجة كبيرة من رجاحة العقل والطيبة ويريد أن يتعرف عليك يا والدى فنحن هنا عائلة واحدة، ابتسم الشيخ وقال سمعا وطاعة فأنت القائد. كانت فرحة عزيز بهذا التغيير لا حدود لها الشيء الذى جعله يرسم ابتسامة كبيرة أضاءت وجهه وجعلت الشيخ عبد الودود يشكر الله فى سره لأنه حقق هذه الابتسامة على وجه صديقه المخلص .

الزيارة

ذهب الشيخ عبد الودود وثريا وعزيز وسراما فى اليوم التالى إلى بيت التاجر الهندى والد زوج سراما وقابلهم الرجل بترحاب شديد قائلا أهلا ومرحبا برائحة الشرق شرفتم الهند وسأل عبد الودود أنت والد ثريا إذا ، قال نعم إن أصبح لها والدان والد مصرى والثانى هندى وضحك الاثنان لهذه الدعابة وسلم الرجل على عزيز وشد على يده وحنى رأسه واضعا كفيه أمام جبهته تحية واحترام للضيوف الأعزاء . جلسوا جميعا يتسامرون وكل منهم يقص قصصا من نوادره وفكاهات من بلاده ثم ذهبوا إلى مائدة الطعام لتناول الغذاء وكانت المائدة معدة بأصناف شهية من المأكولات التى طهيت على الطريقة الهندية فمنها الدجاج بالكارى مع الأرز والخضار بالتوابل والشطة التى يحبها الهنود بكميات كبيرة فى الطعام الشيء الذى جعل عزيز وعبد الودود يكفان عن تناول هذا الصنف لأنه كان حريفا وجعلهما يدمعان ويضحكان ويصفقان على أيديهم من شدة الحرقان من تناول هذا الطعام ..

ابتسم والد زوج سراما وطلب تقديم الفاكهة والمرطبات وقدم قطعة لحم كبيرة لعزيز وقال هذه قليلة التوابل تذوقها فقد جهزناها خصيصا لكما لأن ثريا قالت أنكما لا تقويان على تناول هذا الصنف .. وكان طاجن اللحم ممتاز خاصة مع البطاطس التى يعشقها عزيز ثم تناولوا الفاكهة والحلويات وبعدها جلسوا جميعا مبتهجين يشربون القهوة وهم فى سعادة لهذه المقابلة العائلية الظريفة . عند الساعة الثانية عشرة مساءً كان عبد الودود وابنته يجلسان فى شقة ثريا يتحدثان فى هدوء، وقالت ثريا لأبيها هل تريد شيئا قبل ذهابى للنوم يا أبى ؟ قال لها عبد الودود انتظرى قليلا أريد أن أبوح لك بشيء هام بعيدا عن عزيز وسراما قالت ثريا خيرا يا أبى إن شاء الله ، هيا نجلس فى الشرفة التى تطل على حديقة البيت هناك لن يسمعنا أحد وأثناء هذا الحديث كان عزيز يجلس على كرسى تحت هذه الشرفة فى الدور الأرضى يتأمل أحواض الزهور فى صمت شارداً بخياله وفكره بتأمل عميق، ووصل إلى سمعه همهمة فجلس ساكنا دون أن يبدى أى حراك ولم يشعر عبد الودود أو ابنته بوجوده. قال عبد الودود هل تحفظين سر أبيك يا ثريا قالت فى الحال فداك نفسى وروحى يا أبى، قال إنى أريد أن أذهب أنا وصديقى الحبيب عزيز إلى الشيخ الكهل الذى عالجك من حالتك النفسية والمعنوية بعد طلاقك من زوجك لقد قلت لى أنه رجل علم وثقافة وأنه طيب لا

ينظر أبدا للمال لأنه وسيلة وليس غاية كما قلت أنه يفهم فى اللغات وخاصة الإنجليزية والعربية وهذا يسهل علينا التعاون معه ، قالت نعم هذا فعلا ما حدث .. ولماذا تريد أن تذهب إلى هذا الكهل أبك علة يا أبى أم عزيز صديقك قال الشيخ عبد الودود إنه عزيز ، وسمع عزيز الحوار فهمات فى جلده وخاف أن يفشى الشيخ سره الذى ائتمنه عليه فلم يبدِ حراكا ليسمع ما سيقوله الشيخ قالت ثريا وما به عزيز إنى أراه فى كامل صحته والثقة بالنفس ولا يبالى بشيء .. قال فعلا لكنه وهو صغير سقط على رأسه وأحيانا نتابته نوبات صداع عنيف تجعله يفقد وعيه وقد ذهب إلى العديد من الأطباء فى عياداتهم والمستشفيات ولكن الكل أجمع أنه ليس به شيء وأضاف والد ثريا أنا قلت ربما يحتاج لحجاب أو علاج نفسى أو شيء من هذا القبيل هذا ما اقترحته أنا ولا أعلم هل سيوافق عزيز على الذهاب معى أم أنه سيرفض فهو لا يؤمن بهذا النوع من العلاج . قالت ثريا أنا أشك يا أبى أن يكون عزيز به أى شيء ربما يكون هذا من التزامه الشديد خاصة أن أعماله كثيرة وله مجموعة كبيرة من المراكب وعنده مصنع للتعليب ومزرعة وورشة لعمل أنتيكات فرعونية وأشياء من هذا القبيل وعلمت أيضا أنه وحيد وغير متزوج رغم ماله ومركزه وشبابه وأعتقد أن تغيير الهواء والراحة من العمل سيفيده كثيرا ولا داعى للعلاج النفسى والأحجبة

ما دام هو لا يعتقد فى هذا . قال عبد الودود مصمما لكنى أريد أن أسمع كل ما قلتيه من فم الكهل الهندى وهذه فرصة لوجوده هنا قالت ثريا بتهكم لهذا السبب أتيت بعزيز إلى هنا أجاب لا يا ابنتى لكن عندما أتيت إلى هنا وتكلمت مع سراما صديقتك عن حالتك وما حدث لك بالتفصيل كما ذكرتى فى خطابك هذا هوما جعلنى أفكر فى الذهاب إلى الكهل الهندى.. ابتسمت ثريا وقالت لك هذا يا أبى ما دمت مصمما سأذهب معكما صباحا لأطلعك على العنوان فقال الشيخ لا سنذهب أنا وأنت وأعرف العنوان وحدى ثم أذهب بعزيز فأنا لا أريد له إحراجا من أى نوع فما رأيك .. هنا ارتاح عزيز وشكر فى نفسه عبد الودود الذى حفظ سره ولم يطلع ثريا على الحقيقة كاملة ولكنه زيف الحقائق ليحافظ على السر الذى ائتمنه عليه وشكر عزيز ربه وشكر أيضا فى نفسه الشيخ عبد الودود.. وهنا قال عزيز بصوت مسموع ولماذا تريد أن تتعب ثريا يا خال لقد وصل صوتكما إلى أذنى وسمعت حواركما وقلقكما على وإنه لمن دواعى سرورى أن يكون لى أناسا مثلكما فى الحب والإخلاص غدا يا ثريا سنذهب معك أنا ووالدك لتطلعنا على منزل الكهل والله يفعل ما يريد . ابتسمت ثريا وقالت رأيت يا أبى كان عزيز يتسمعنا لكن خاب ظنه ولم يسمع شيئا يديننا وضحك ثلاثتهم وذهب كل منهم إلى فراشه بعد راحة وسماحة نفس ورضا .

وصل عزيز والشيخ عبد الودود وابنته إلى الجبل وقالت ثريا هذه هى صومعة الكهل بلغوه تحياتى العميقة وشكرى والآن سأذهب إلى عملى وبعدما تنتهوا من المقابلة سنتقابل فى البيت ثم شدت على يد عزيز وقالت شد حيلك يا بطل وتأكد أنك ستخلع جميع مشاكلك وتنتصر على أى عدو على عتبة هذا الكهل الطيب لأن له من حلاوة اللسان والعلم والثقة ما لا يوجد عند أى إنسان رأيته فى حياتى ثم استطردت ثريا بابتسامة عريضة وقالت كلامى هذا مسموع لديه الآن فأنا أحيى فيه طهارته وشفافيته ، أستودعكم الله . رغم كل الكلمات الطيبة التى وصفت ثريا بها الكهل إلا أن عزيزاً عندما اقترب من صومعة الكهل تراجع وخاف أن يدخل مما جعل عبد الودود يلح عليه فى الدخول قائلا : أولا يجب أن تدخل يا عزيز إن الرجل حافظ للقرآن الكريم وعاش بمكة المكرمة أعواما كثيرة وسيساعدك. ثانيا : نحن الآن نبعد مسافات بعيدة كل البعد عن أى انسان يعرفك ويجب أن تخضع للعلاج سواء كان علاجا نفسيا أو علاجا روحانيا أو حتى من الشيطان نفسه لتعود لك ثقتك فى نفسك وتتزوج وتملأ الدنيا أطفالا وتتخلص من كل مشاكلك جيدا ، أتوسل إليك يا بنى أرجوك ادخل وخضع عزيز فى النهاية ودخل إلى صومعة الكهل الكبير ثم ألقى عبد الودود التحية ورد عليه الشيخ أهلا ومرحبا بالغرباء تفضلا .. إتكأ الكهل

على عصاه وتقدم نحو عزيز وأمسك يده وقال أخيرا وافقت أن تقابلنى ثم نظر فى عينيه نظرة استغرقت دقائق وهو ما زال يمسك يده اليمنى. ثم وضع يده اليسرى على رأس عزيز وهز رأسه وقال حضرت بعد زمن طويل تقدم واجلس وتعجب عزيز لماذا فعل معه هذا لماذا هو بالذات؟ كيف علم أنه المقصود بالعلاج وليس عبد الودود، كما علم أيضا بخوفه من الدخول إلى الصومعة وسأل نفسه هل هذا الكهل عنده كل هذا العلم ، لقد حباه الله بفضل عظيم وفجأة قطع الكهل حبل تفكيره وسأل عزيز فى إصرار هل أنت مستعد للتعاون يا بنى ، قال عزيز أنا تحت أمرك يا سيدى الشيخ فأمره أن يخلع حذاءه وامتثل عزيز باعد الشيخ بين أصابع قدمى عزيز وأخذ يحصى الخطوط التى بين أصابعه ودونها فى مربعات صغيرة ثم بدأ فى قراءة كف يده اليمنى وكتب أشياء ثم اليد اليسرى وبدأ يجمع أعداد الخطوط وقسم ناتج الجمع عل أحرف اسم عزيز وأمه ووضع كميات كبيرة من البخور فى عدة أوعية فى أركان الحجرة وأوقد فحما ليحرق مجموعة من الأعشاب وزاد من الشموع حول سليم الشهير بعزيز ثم قال أخيرا أنت سليم ابن دولت لقد أهدر حقك وسحقت كرامتك من فاسد وفاسدين .. أصحيح ما قلت أم لا قال عزيز نعم قال ستردد ورائى الحروف التى أنطق بها بتركيز شديد وأخذ الكهل يردد بعض

الحروف وسليم يرددها وراءه ثم تمتم ببعض كلمات غير مفهومة وبسرعة زاد من إشعال البخور حتى امتلأ المكان بالدخان ثم أشار لسليم أن يغمض عينيه وفجأة أمسك مشرطا وأجرى جرحا غائرا فى كلتا قدمى عزيز اليمنى واليسرى وتلقى الدماء فى وعاء بينما كان سليم فى نفس الوقت يصرخ صرخة هائلة قوية وضع الكهل أعشابا خضراء فى فمه وصمت عزيز وتمدد على الأريكة .. قرأ الكهل آيات من القرآن الكريم وببعض المحاليل أوقف نزيف قدمى سليم.. ثم نظر فى الوعاء الذى يحتوى على الأعشاب المسحوقة وعليها دماء سليم التى تجلطت بسرعة وأصبحت مثل كتلة اللحم الرخوة، ثم رسم الكهل بريشة مغموسة فى بعض العطور على كتلة الدم المتجلط وجها له عينان وفم وأنف وأذنان كبيرتان، وبدبوس طويل مسح على جبين سليم ثم سخنه على النار وغرسه فى الأذن التى رسمها على كتلة الدم بالريشة، وفجأة انتفض سليم انتفاضة شديدة وصرخ متألما واهتزت قطعة اللحم فى الوعاء وجلجل فى المكان صوتا متحشرجا قائلا أخرجنى من هذا الجسد، وأعدك لن ترانى مرة أخرى أسرع لأنى أتألم ، فقال الكهل ولماذا دخلت فى كيان سليم ما دمت تريد الخروج .. قال الصوت الذى يخرج من قطعة الدماء المتجلطة والمغروس فيها الدبوس منذ زمن طويل بحساباتكم وقصير بالنسبة لى كجنى كنت نائماً منذ شهور

قليلة بالمكان الخاص بى فى أحد أركان المدرسة وفجأة سقط فوق صدرى جسد مندفع كالدبوس الذى تغرسه الأن فى أذنى فأفقدنى الاتزان وشتت قواى وآلمنى ألماً جعلنى أفقد السيطرة على محتويات جسدى فخرجت قواى متفرقة فأضعفتنى وأحاطت بجسد سليم وفى لمح البصر تغلغلت فى كيانه دون وعى منى من شدة الألم وتشتت قواى على شكل شعيرات وتفرقت كل شعيرة داخل جسده فألهبته وصرت أنا لا شيء سوى كائن ضعيف فاحتوانى بداخله وأصبحت تحت أمره فكان هو السيد وأنا خادمه خاصة عندما كان غاضبا خائفا متعطشا للانتقام وكلما ساعدته فى انتقامه بوحشية كان الألم يخف عنى قليلا وعشت داخله كل هذه المدة دون أن يعلم وقد أوحيت لغريمه المشرف الذى حطم حياته ليقتل نفسه ،ويموت كافرا ..

أما سليم فقد زدت من غضبه وزدت من قوته وجعلته يمزق أجساد الصبية الفاسدين أعدائه وحرق المدرسة ثم هيأت له الهروب بعيدا ومعه الطفل الذى أحبه والمال الذى أراده .. لكنه ما علم بوجودى أبدا ولذا استحال على الخروج منه وأصبحت مسجونا بداخله دون رغبة منى والآن أريد أن أخرج لأعود إلى عالمى .. قال الكهل ستخرج وبحق الله ستخرج وألقى بكميات كبيرة من الروائح والبخور والملح والأعشاب الخاصة بهذا العمل،

حـول جسـد سـليم وأمـر الكهـل قطعـة الـدم المتجلطـة فى الوعـاء وهـز الدبـوس هـزات متتاليـة قائـلا اخـرج بسرعـة فهـا أنـا أريحـك مـن عذابـك وإيـاك أن تؤذيـه أو تشـوه أى عضـو مـن أعضـاء جسـده فأنـت تحـت رحمتـى وبيـدى نسـفك مـن الوجـود .. فقـال الجنـى مرنـى مـن أيـن أخـرج ، فقـال الكهـل اخـرج كـما دخلـت لقـد أحطـت بجسـده وتغلغلـت فى مسـام جلـده فاخـرج كـما دخلـت مـن جلـده وإيـاك إيـاك أن تؤلمـه أو تشـوهه وبـدأ الكهـل فى إطفـاء الشـموع الموجـودة حـول جسـد سـليم وخـلال هـذا كان سـليم مسـتلقيا لكنـه كان منتبهـا وجسـده يرتجـف فى حـركات تشـنجية قويـة ثـم تقيـأ وبكـى وسـال لعابـه وتـأوه ، حـدث كل هـذا بينـما الجنـى يخـرج مـن جسـده عـلى شـكل موجـات قويـة متوهجـة بهـا ألـوان يميـل معظمهـا إلى اللـون القرمـزى والأحمـر والأزرق، وكان وجـه سـليم يتلـون بـكل هـذه الألـوان التـى انسـحبت مـن الوجـه إلى الرقبـة ثـم إلى الجسـد وأخـذ اللـون ينسـحب تدريجيـا مـن جسـد سـليم وكلـما انتقـل مـن جـزء إلى آخـر عـاد لـون جسـد سـليم إلى طبيعتـه حتـى خـرج آخـر شـعاع ملتهـب داخـل الوعـاء وتكـون فى لمـح البـصر هيـكلا لمـارد عمـلاق سرعـان مـا اختفـى كل شيء حتـى الدمـاء المتجلطـة فى الوعـاء وأصبـح الوعـاء نظيفـا كأن لم يكـن بـه شيء إطلاقـا ، أسرع الكهـل بتضميـد جـراح قدمـى سـليم ووضـع عليهـا قليـل مـن الأعشـاب وقـال بصـوت رزيـن لكنـه بـدا مجهـدا

حمداً لله على عودتك سالما يا بنى.. ثم سقاه كوبا كبيرا من الماء المثلج مخلوط به بعض الحبوب.. وقال له عند آخر رشفة من الكوب سيعود لك كل شيء كما خلقه الله وغدا قبل الفجر سأراك وأرجو أن تتركنى الآن لأنام . لقد مكث الشيخ عبد الودود وعزيز عند الكهل وقتا طويلا كان الكهل خلالها صبورا حكيما ودودا له عاطفة متدفقة خاصة فى مساعدة الذين ظلمتهم الحياة دون أن يرهقهم ماليا وكان فقط يطلب منهم الدعاء له بالرحمة إنه يزهد الدنيا ويطمع فى الآخرة بإيمان وشفافية شديدة .. بعد كل هذه الأحداث التى تمت بنجاح كبير على يد هذا الكهل كان سليم وعبد الودود والكهل فى حالة إرهاق تام خاصة الشيخ عبد الودود الذى كان منزويا فى أحد الأركان وهو يمسك بيده كتاب الله متشبثا به ليحميه هو وصديقه من أى شر ويجعل لهما مخرجا، بعدما انتهى سليم من كل هذا هرع إليه عبد الودود واحتضنه ثم قال سيكون الشفاء التام بإذن الله فقبله سليم وقال فى إعياء إنى مجهد جدا يا خال لكنى متفائل وأشعر أنى ولدت من جديد ، وساعده عبد الودود فى ارتداء حذائه وهندم ملابسه وشكرا الكهل الهندى واتكأ على ذراع صديقه ثم انسحبا من الصومعة فى هدوء تام ليتركا الشيخ دون إزعاج على موعد للقائه مرة أخرى فى اليوم التالى. قال سليم لصديقه أريد اليوم أن أنام بعيدا عن شقة ثريا ويستحسن أن ننزل بالفندق يومين

واطلب من ثريا أن ترسل لنا بعض الملابس وسنكون سويا هناك حتى أستعيد قواى ونفسى مرة أخرى وحتى لا تشعر ثريا بأن الموضوع كان كبيرا . قال الشيخ لك هذا وفى الحال طلب ثريا على التليفون وقص عليها ما فعله الشيخ من مساعدة عزيز ورغبة عزيز أن ينفرد بنفسه ليلتين وطلب منها إرسال بعض الملابس للنوم فى الفندق الذى خلف الجبل مباشرة وأخبرها أنه سيكون على اتصال بها .. وتفهمت ثريا الموقف بسرعة ووافقت وأرسلت لهما بعض الملابس بعدما علمت اسم الفندق ولم تحاول أن تلتقى بوالدها أو صديقه لكيلا تؤذى مشاعر أحد وكان تصرفها هذا من المواقف النبيلة التى تسجلها ثريا يوميا أمام عزيز ..

الفندق

جاء موعد الكهل وذهب إليه الرجلان عبد الودود وعزيز ونظر الكهل فى جراح قدمى عزيز ووضع بعض المساحيق على الجرح وقال لسليم الآن لن تشعر بأى ألم فقد التأم الجرح تماما عد لنفسك وتزوج فأنت شاب جميل ورجل مستقيم لا تخف أبدا ولن تعجز عن إنجاب أطفال وسيكونون سندا لك فى حياتك وربت على كتفه وقال كلمات بسيطة فى أذن عبد الودود .. قال إنه رجل نبيل مخلص وشهم شهامة نادرة وهو لها وهى له وستكون جدا قريبا بإذن الله .. وقعت هذه الكلمات على قلب عبد الودود كالموسيقى وأسعدته سعادة ما بعدها سعادة لكنه تكتم ما أخبره به الكهل لأن الكهل قالها له سرا فى أذنه .. قبل عزيز يد الكهل وقال له أنا طوع أمرك فما فعلته لى لن أنساه مدى الحياة ، قال الشيخ الكهل أريد منك شيئا هل توافينى به بسرعة لأنى أشعر أن أيامى الباقية قليلة .. قال سليم أؤمر فأنا ومالى وكل ما أملك فداك ابتسم الشيخ الكهل وقال مال الدنيا لا يساوى شيئا بالنسبة لما

أطلب أريد منك كوبا من الماء .. فنظر عزيز مبتسما .. فقال الكهل إنه ليس ماء عادياً إنه ماء زمزم من الأراضى المقدسة، فأنا فى شيخوختى الآن ولن أتمكن من الذهاب إلى هناك ولن يروى ظمئي سواه فقد ذهبت إلى هناك كثيرا فى أيام شبابى لكن الآن ما باليد حيلة فهل يمكن أن تسرع فى تلبية طلبى هذا .. وهب سليم واقفا وقال ولو ذهبت سيرا على الأقدام سآتيك به بإذن الله، فقبله الكهل على جبينه وقال أعرف جيدا وتمتم ببعض كلمات وخرج سليم مسرعا ومعه صديقه واستأجر سيارة خاصة متوجها إلى المطار فى العاصمة وكان يحث السائق طوال الطريق على أن يسرع حتى وصل ودخل إلى المطار وطلب مقابلة كبير الطيارين وقال له أريد زجاجة من ماء زمزم لرجل على فراش الموت أوصانى بها ولا أريد أن أحرمه مما طلب فهل تساعدنى فى سرعة تلبية طلب الرجل. قال كبير الطيارين وكيف لا إنه شرف لى أن أفعل ذلك وبسرعة اتصل ببرج المراقبة الجوية سأل عن الطائرة التى ستعود من السعودية وعرف أنها ستصل عند الفجر فأمر الطيار من خلال الاتصال اللاسلكى بإحضار المطلوب. وهنا أخرج عزيز من جيب سترته رزمة مالية وقال لكبير الطيارين تفضل وخذ هذه الأوراق المالية مكافأة للطيار الذى سيقوم بهذه الخدمة الجليلة قال كبير الطيارين وهل نحن أقل منك فى تلبية رغبة مريض على فراش الموت ، خجل عزيز وقال

حاشا لله.. لك هذا فلا أمنعك أبدا عن فعل الخير. قال كبير الطيارين سيكون طلبك موجوداً بمكتبى صباح الغد حيث ستصل الطائرة من السعودية فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل قال عزيز سأنام وصديقى فى استراحة المطار فلا وقت لدينا للذهاب والعودة .. قال الطيار لك هذا واقبل دعوتى على فنجان شاى بالاستراحة ولنتجاذب أطراف الحديث فمنذ زمن طويل لم أجلس مع صديق مصرى، وهذه فرصة وبارك الله فى رجلك المريض الذى أتاح لى هذه الفرصة وابتسم الجميع وتوجهوا للاستراحة خلال هذا الحديث كان عزيز ممسكا بالأوراق المالية التى رفض الطيار أن يأخذها كمكافئة لمن سيحضر ماء زمزم المطلوب وعندما هم عزيز بوضع الأوراق المالية فى جيب سترته تخيل أنه رأى وجه الكهل على الأوراق المالية يبتسم له فى سعادة وتعجب عزيز هل ما رآه خيال أم أن وجه الشيخ قد ظهر له على الأوراق المالية بالفعل ليؤكد لعزيز معجزاته وعلو شأنه ويشكره على مبادرته السريعة لجلب بعض من ماء زمزم الطاهر ليروى عطش رجل على فراش الموت ، قال سليم فى نفسه والله يا شيخى العزيز إنك لرجل صالح . وجاء الطيار وسلم عزيز زجاجات الماء وشكر سليم وعبد الودود الطيار على معروفه وتعاونه وحسن معاملته وتعاهدوا على أن يلتقوا مرة أخرى ، بعد ساعات وصل الشيخ وسليم إلى صومعة الكهل وقال سليم

شد حيلك يا سيدى الكهل لقد وصلنا ومعنا ما تتمنى فابتسم الكهل فى سرور كبير وقال بارك الله فيكما والآن هيا ساعدانى أريد أن أروى ظمئي وأتوضأ ثم أصلى فأنا أشعر بضعف شديد وأمسك سليم رأس الشيخ الكهل وأعطاه الماء الطاهر فشرب منه حتى ارتوى وسال من ماء زمزم على لحيته البيضاء إلتى تصل إلى صدره ثم أمسك الكوب بيد ترتجف وقال لسليم خذ بعضا منه وارو ظمأك وطهر نفسك واعط لصديقك هو الآخر ليشرب حتى يحين الوقت ويكون لكما فى زيارة الكعبة نصيب فليس لنا غير الله ثم استند على ذراع سليم ليساعده ليتوضأ من نفس الماء وكانت صلاة الشيخ مفعمة بدعوات كثيرة وهمهمات أكثر ثم تمدد على فراشه بمساعدة الصديقان وأغمض عينيه فى راحة وسكينة وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وفى لمح البصر رحل الكهل إلى العالم الآخر ليلقى وجه ربه .. كان الكهل فى دنياه رجلاً كريماً قام بمساعدة كل من احتاج إليه وودع سليم والشيخ عبد الودود الكهل وقبله كل منهما فوق جبينه وقالا له لك الجنة بإذن الله .. ذهب سليم مسرعا ليطلب ثريا تليفونيا والتى بدورها أبلغت سراما بالموضوع ليأتوا جميعاً حسب رغبة سليم الذى قال لعبد الودود سأقوم بتشييع جنازة الكهل على نفقتى الخاصة وتسائل عبد الودود ولماذا هذه التكاليف والمصروفات فأجاب سليم إنها أمواله يا خال لقد رفض أن يأخذ

أتعابه لكى أقوم أنا بعمل اللازم عند وفاته .. كان يعلم أنى سأقوم باللازم نحوه !!! . وما هى إلا ساعات حتى تم كل شيء على أكمل وجه وقد اشترك فى الجنازة بعض التجار من المقربين من أسرة سراما ومودعين من أصدقائها وزملائها فى العمل والشيخ عبد الودود وعزيز الذى ظل قريبا من النعش حتى أنه رأى وجهه فوق النعش مبتسما وسمع صوته يقول مال الدنيا كله لا يساوى هذه اللحظة يا عزيز .. سترك الله فى الدنيا والآخرة وهداك بيتا سعيدا وزوجة صالحة وذرية صالحة واختفت الصورة والصوت ودمعت عينا عزيز وقال أكرم الله مثواك وأدخلك فسيح جناته ، همس والد زوج ساراما سائلا عزيز من أين تعرف هذا الكهل يا عزيز؟ وبسرعة أجاب عبد الودود ليتدارك الموقف لقد ذهبنا أنا وعزيز لنشكر الكهل لما فعله مع ثريا ابنتى فهذا أقل شيء ووجدنا الرجل فى حالة إعياء شديد وقد أسلم الروح ونحن عنده فقمنا باللازم ردا لجميله وقال والد زوج ساراما أنا لم أجد مثل إخلاصكم فى هذا الزمان وهو ما يجعلنى أنحنى احتراما لكما وهكذا أسدل الستار على الكهل وعلى سر عزيز الذى دفن مع الكهل إلى الأبد

همس الحب

لقد فعلت مواقف عزيز وشهامته فعل السحر فى قلب ثريا التى لم تعرف ماذا حدث لها إنها تفكر فيه الليل والنهار كيف كان كريما مع والدها وكيف ساعده فى إيجاد المنزل والمزرعة الصغيرة التى تحيط به كيف وكيف وما برحت تفكر فيه وفى نبله ووقاره وسألت نفسها ما معنى هذا هل أنا أحب هذا الرجل ؟ إنه حتى لم ينظر لى نظرة تدل على أنى أنثى أو تدل على أنه شعر بوجودى كامرأة كما أنه شارد الذهن ومهموم دائما ، نعم إنه رجل أعمال جاد وناجح لكن يجب أن يفكر فى نفسه وفى حياته بعض الشيء يا ليته يعلم ما يدور فى خلدى إذا لاختلفت الأمور كلها. ثم نهضت بعصبية قائلة يجب ألّا أتمادى فى هذا ولا بد لى من مقاومة هذا الإحساس بكل قوتى فلا أريد أن أفسد علاقة أبى به مهما كان . ودخلت ثريا إلى الحمام وتزينت وارتدت فستانا فى لون موج البحر ووضعت عطرا له رائحة تدغدغ الإحساس وانتابها شعور بدفء له مغزى تحاول إخفاءه . ذهبت ثريا إلى شقتها التى يقيم بها

والدها مع عزيز فوجدت عزيزاً شارد الذهن ينظر من النافذة إلى الأفق البعيد ممسكا بفنجان القهوة ، صفقت ثريا بيديها قائلة فيم كل هذا الشرود ؟ انتفض عزيز وقال بلهفة وكأنه كان يفكر بها وشروده من هذا التفكير أهلا أهلا ثريا وحشتينى وما كل هذا الجمال فتعجبت مبتسمة وقالت يا ربّ أدخلت شقة غير شقتى وهل أنت عزيز أم من تكون فقال فى هدوء وما العجب فى ذلك قالت لقد رأيت أبا الهول بالهرم يقف صامتا شامخا ولكنى لم أعلم أبدا أنه يتكلم قهقه عزيز وقال هكذا إذا !! أتشبهينى بأبي الهول عموما هو يتكلم الآن ألم تسمعيه وابتسم فى مرح وأضافت ثريا نعم إنه تكلم وعبر ووصف وغمزت بعينها، وفجأة ظهرت عليه لمحة من حزن عميق ثم قال فى شرود ..

فى صمتى ، في صمتى

قوة تزلزل الجبال ..... عزيمة تدرس للأجيال

فى صمتى غليان لو انفجر .....أصبح بركان

تعذبت تيتمت..... بيد من هما حبيبان

وانحبس صوتى.....ولم يعد لى فى الدنيا مكان

قهرت ، تحطمت ..... ونسوا أنى إنسان

خفت أن أبوح بحبك .....فلا ترحمنى الأيام

تقدمـــت وتراجـــعت .....ثم خطوت نسيت الطغيـان

تمنيتـــك وأحببتـــــك .....وها أنا أتكلم عندما آن الأوان

أرجـوك لا تسـألينى معنـى الـكلام واعلمـى فقط أنى إنسـان

بعدمـا تفـوه سـليم بهـذه الكلـمات التـى تنـم عـن مأسـاته شـعر بـأن رأسـه يلـف وأن العـرق تصبـب منـه وبـدأ يرتعـش فخـاف أن تكـون حالـة الغضـب سـتجعله يخـرج مـن نفسـه الوديعـة إلى الحالـة الشرسـة القاسـية والتـى تغـير مـن ملامحـه وتجعلـه كالوحـش مـرة أخـرى وهـذا معنـاه أن ثقتـه فى الكهـل تزعزعـت كـما شـك فى عـدم شـفائه فهـب اقفـا وخـرج مـن أمامهـا مسرعـا دون أن يتفـوه بكلمـة ثـم فتـح بـاب الشـقة وأخـذ يعـدو وكأن ثعبانـا لدغـه وصـوت ثريـا يلاحقـه وهـى تـصرخ عزيـز عزيـز مـاذا حـدث مـاذا أصابـك إلى أيـن أنـت ذاهـب وعزيـز لم يعرهـا انتباهـا لكنـه ظـل يجـرى ويجـرى فى اتجـاه السـوق وكأنـه يهـرب مـن قـدره . كان عزيـز يعـدو كالفهـد الضـال دون هـدف كل همـه أن يبعـد ويبعـد عـن ثريـا وعـن النـاس حتـى لا يـراه أحـد فى صورتـه وهـو غاضـب كان يعـدو وهـو يبكـى فى صمـت وبداخلـه صـوت يطـارده لا فائدة لا فائـدة أنـت كـما أنـت ليـس لـك مـكان فى قلـب أحـد لكـن فى هـذه المـرة لم تكـن مثـل المـرات السـابقة بالعكـس كان يشـعر بالـبرد والعـرق يتصبـب منـه غزيـرا ولم يشـعر أن هيئتـه تغـيرت أو عنـده رغبـة فى التخريـب أو التحطيـم والعنـف ظـل سـليم

على هذا النحو لمدة ساعة، تغلغل فى السوق حتى نهايته ومرت هذه الساعة على ثريا كأنها دهر وباتت تعترف بحبها الصادق له وفجأة اتصلت بوالدها بصوت يرتجف مما يدل على قلقها الشديد وارتعب والدها وقال ما الأمر فأخبرته بحالة عزيز وخروجه المفاجئ على هذا النحو واضطرب عبد الودود أيضا وقال ما هذا الذى حدث له ثم قال فى نفسه أخدعنا الكهل أم لم يفلح العلاج كيف يكون هذا!! وفجأة قال لثريا ألا تعلمى إلى أين كانت وجهته أجابت إنه اتجه ناحية السوق قال لها اطمئنى أنا فى السوق الآن أشترى بعض الهدايا سأبحث عنه وأجده بإذن الله .. أرجوك اطمئنى أرجوك .. قالت ثريا حسنا يا أبى أنا فى انتظاركما.

وصل عزيز إلى آخر السوق وكان المارة والبائعين وكل من يراه يتعجب فى نفسه وهو ينظر إليه ويسألوا بعضهم لماذا يجرى هذا الرجل وممن ؟ والناس تبدى أسفها عليه لأنهم لم يجدوا شيئا غريبا يدفعه لذلك .. نال التعب من عزيز وبدأ يفقد قواه تدريجيا وكان يلهث بشكل واضح وفى النهاية وصل إلى النهر فجلس على حافته وبدأ يهدأ ويلتقط أنفاسه، وفجأة نظر فى الماء فوجد نفسه فى حالته الطبيعية ولم تتبدل هيئته ولم تزد قوته الخرافية بالعكس لقد نال منه التعب بسرعة كباقى الناس العاديين ، هدأ عزيز

وتنفس الصعداء وقال الحمد لله إن الشيخ الكهل أنقذنى فعلا ونجح فى شفائى فلماذا خوفى إذا .. أستغفرك ربى لقد ظلمت الكهل وظلمت نفسى والحمد لله أنا نجوت وفجأة ظهر الكهل أمامه بابتسامته العريضة ولحيته التى تسترسل على صدره وملابسه البيضاء الناصعة واقترب منه رويدا رويدا وهمس له لماذا فقدت الثقة فى نفسك وفى من أحبوك؟ فوجئ عزيز بالكهل أمامه وقال سامحنى سيدى خفت أن تكشف ثريا أمرى وترانى فى صورتى البشعة فتشمئز منى وتضيع إلى الأبد بعد ما وجدتها لذلك اختفيت من أمامها ويخيل إلى أنى ما زلت مريضا.. قال الكهل والآن هل إطمأن قلبك ووثقت أن شيطانك ذهب إلى الجحيم . ألا تؤمن بأن الله حق لقد شفيت بفضل الله وبفضل القرآن الكريم وكل كلمة تفوهت بها كانت صادقة.. إنه امتحان وضعت فيه يا بنى حتى تطمئن نهائيا أنك لن تعود أبدا لما كنت عليه فلا تغضب من نفسك ولا تغضب مما حدث فهذا خير لك إنها تجربة وتجربة قوية لكى تعلم جيدا أنك شفيت .. عش حياتك يا بنى فمن كان فى نبل أخلاقك وإيمانك وحبك للخير ومعاونتك لكل محتاج لن يخذله الله أبدا وما حدث لك الآن هو خير لك سبح بالله وسبح بحمده وكبر باسمه واختفى الرجل تماما وكأن عزيز يحلم وصرخ سيدى الكهل سيدى الكهل .. ثم انتبه لنفسه وقال إنه دائما معى إنها روحه الطاهرةتريد أن

تطمئننى وها قد عدت لثقتى فى نفسى وفى شفائى حمداً لك يا مالك الملك وبسرعة هندم عزيز نفسه وغسل وجهه من ماء النهر وجفف يديه وجبينه بمنديله ثم عاد أدراجه من حيث أتى وفى الطريق قال سوف أشترى باقة من الزهور لأقدمها لثريا كنوع من الاعتذار على خروجى بدون أن أستأذنها .

دخل عزيز وفى يده باقة الزهور إلى شقة ثريا وقال لثريا سامحينى واعذرينى لخروجى المفاجئ لقد حزنت عندما تذكرت مأساتى وأردت أن أخفى عنك دموعى فأنا لا أحب أن يرانى أحد وأنا أبكى فهرعت لأستعيد نفسى واشتريت لك هذه الباقة من الزهور التى تحبينها فهل تقبليها وتغفرى لى فعلتى قالت ثريا في نفسها سأحاول أن أكون هادئة ولا أشعره بأنى قلقت عليه حتى لا أزيد همه خاصة بعد ما علمت أن فى حياته مشكلة كبيرة أخفاها داخل نفسه فزهد ذاته وفى النهاية تدارك الأمر وكان الحب وسيلة ليعالج به جروح الزمان .. وفى الحال وحتى لا يأخذ الحديث سياقا مؤلما قالت وهى تمزح أمكثت كل هذا الوقت لتشترى لى هذه الباقة الجميلة ظننتك زرعتها وانتظرت قطفها. عموما أنا قبلتها كما أنى سامحتك فكلمات الشعر النابعة من قلبك أفهمتنى كل شيء وأكدت حبك لى إن قصتك تشبه قصتى وفيها الكثير من

الآلام والأحزان وكأنك كنت تنطقها بلسانى أيها الحبيب لا تلتفت إلى الوراء وانظر إلى المستقبل يكفيك أنك وجدت الحب والعائلة والصحبة والقلب الذى نبض من أجلك إن الله سبحانه وتعالى وهبك كل الصفات النبيلة .. من إخلاص وصدق وحب الخير ورجولة أثبتتها كل مواقفك وكل إنسان فى الدنيا له سره الخاص، إن الله يرضى عنك لأنه حباك بكل هذا نحن الآن أنا وأنت لنا الحاضر فقط وأمامنا المستقبل وسيجمعنا حب طاهر دائما ومن تذوق مرارة العذاب يشعر بآلام الآخرين .. عزيز سأكون الأم والأخت والصديقة والحبيبة لك فلا تقلق. وبدون تردد تقدم عزيز نحوها ثم ضمها إلى صدره وذهبا معا فى نشوة قبلة أودعا فيها حبا جارفا فى لحظة صمت التهبت فيها مشاعر الحب والعشق والهيام ثم انتبهت ثريا وقالت .. فى نفسى شيء لا أخفيه عنك يا عزيز أتشك فى أننا قد تسرعنا قليلا فى إظهار عواطفنا على هذا النحو ربما تريد أن تمنح نفسك وقتا آخر للتفكير لا أريد أن تندم مستقبلا قال عزيز مقاطعا بشدة أنا ما تسرعت أبدا وسامحينى لما بدر منى الآن فلا أعلم كيف تشجعت وفعلتها صدقينى إنها مشاعر نابعة من قلب صادق فمنذ رأيتك فى المطار عندما فرحت بلقاء والدك واحتضنتيه بكل هذا الحنان والحب والعطف الذى رأيته فى عنينك تجاهه من هذه اللحظة وأنا أشعر بشيء نحوك ولم أكن أفهم معنى هذا الشعور لأنى لم أجرب

الحب فى حياتى ،ولم أعرف أية فتاة ألا تؤمنين بالحب من الوهلة الأولى .. إنه إحساس ومشاعر دافئة تملأ كل كيانى الآن لا تقولى إنه احتياج للحب فالدنيا مليئة بالبشر وأنا اخترتك من بين كل هؤلاء البشر .. إنه ليس تسرعا إنه صدق وليد اللحظة لكن له جذور لم أكن أفهمها إلا الآن وقد عبرنا أنا وأنت عنها بمنتهى الوضوح والارتياح.. وهو الذى جعل أبا الهول ينطق ويظهر مشاعره لأنى كنت أفكر فيك بعمق أثناء دخولك الشقة وظهورك أمامى بجمالك وعطرك وجاذبيتك ورقتك معى فتخطيت كل الحواجز لأصل إلى قلبك والذى أعرف جيدا أنه ينبض من أجلى بدقات متتالية تعاتبنى لأصارحك بحبى لك وقد يكون ما دفعنى للكلام هو أنى أتحدى الزمان وأريد أن أثبت له أنى موجود مهما حدث بعدما أذلنى وأبكانى وجرحنى وجعل قلبى ينزف حسرة ليلا ونهارا .. ثريا فى الحقيقة الشيء الهام الذى أخرنى عن مصارحتك بحبى هو أنى أردت أن أستعيد شتات نفسى أولا وأراجع حساباتى وأنبش بداخلى لأعرف هل فى مصارحتك ظلم لك أو إجهاض لحقوقك لأنى لا أريد أن أراك حزينة أبدا ، اما الآن فقد زال عنى الخوف والفضل لك فى كل شيء أنا أحبك وأحب والدك الشيخ عبد الودود وكل ما تلمسه يداك والله يا ثريا أنا فى حياتى لم أحب فتاة أو استهوتنى امرأة أو تشوقت لأنثى لأنى نسيت ذاتى ونفسى وكرست حياتى

لـشيء واحـد كنـت أريـد أخـذ حقـى ممـن ظلمونـى فتسربـت السـنوات تلـو السـنوات مـن بـين يـدى حتـى وصلـت لهـذا السـن وفى النهايـة اتضـح لى أنـى كنـت ألهـث وراء سراب لقـد ابتسـمت لى الحيـاة منـذ هـذه اللحظـة فهـل تقبـلى أن تكونـى لى أقـرب شيء فى دنيتـى وفى حياتـى كلهـا .

بعدمـا اسـتمعت ثريـا لـكل مـا بـاح بـه عزيـز مـن كلـمات ومشـاعر طيبـة صادقـة قالـت عزيـز لقـد جعلتنـى أسـبح فى كـون مـليء بالسـعادة والحـب ، جعلتنـى أومـن بـأن كل شيء فى الحيـاة مكتـوب ورغـم بعـد المسـافة التـى كانـت بينـى وبينـك إلا أن القـدر جـاء بـك إلىّ لتأخذنـى مـن وحدتـى وتخصنـى بـكل هـذا الكـم مـن الحـب الجـارف الـذى يصعـب أن أجـده ولـو للحظـة مـع أى إنسـان ، اطمئـن سـأكون الحبيبـة والصديقة والأم والأخـت سـأكون المسـتقبل وسـأغلف حياتـك كلهـا برعايتـى وحنانـى وأعـدك أنـى لـن أتـركك أبـدا مهـما حـدث ، لقـد أصبـح حبـك مـن الآن بالنسـبة لى أقـوى مـن كل الظـروف وبـأن قلبـى يصـدق هـذا بعدمـا أذابـت كلماتـك مشـاعرى فأوقدتهـا وتغلغلـت فى كيانـى فأشـجته وحركـت قلبـى فأسـعدته أأسـتحق أنـا كل هـذا ..فضمهـا لصـدره مـرة أخـرى وقـال الحمـد لله أنـك أحببتينـى قالـت ثريـا ألـن تنـدم مسـتقبلا للـزواج مـن امـرأة مطلقـة أجـاب عزيـز وهـو يضـع قبلـة عـلى جبينهـا وهـل بعـد كل مـا بحـت لـك بـه تجدينـى بهـذه

الأخلاق ، ما ذنبك يا عزيزتى لقد كنت ضحية ككثيرات غيرك وعلى العكس لقد قاومتى وعاندتى وحطمت كل القيود لتستعيدى نفسك وإن الذى كان زوجك هو الخاسر خسر كل شيء، ولو رأيته لشكرته لأنه ترك لي فتاة ذكية جميلة جذابة صادقة مثلك وهذا بالنسبة لى مكسب كبير ولولا هذه الظروف ما كنا تقابلنا .. والآن أريد أن أقول لك شيئا هاما .. إن اسمى ليس عزيزاً إنه اسم شهرة واسمى الحقيقى سليم وكانت أمى رحمها الله تدللنى سولى فما رأيك قالت ثريا عزيز هو الاسم الذى دغدغ حواسى فهو قريب لقلبى وسليم هو اسم والد أولادى مستقبلا أما سولى فهو اسم الحب والدفء سأناديك به عندما نكون وحدنا .. ثم ابتسمت فى شجن تأبط عزيز ذراعها وقال لقد أعطانى الله كل ما تمنيت والآن سأطلب يدك فورا من صديقى الشيخ عبد الودود وأثق أنه سيسعد بذلك .

الخطبة

دخل عبد الودود والد ثريا الشقة وهو فى حالة سيئة لأنه لم يجد عزيز فى السوق وقد بحث أيضا فى الأماكن المجاورة فى المنطقة وكان عبد الودود للصدفة يتسوق فى نفس المكان الذى فر إليه عزيز ومكالمة ثريا له أفزعته مما جعل عبد الودود يبحث ويفتش ويسأل عنه فى كل مكان ولما نال منه التعب قصد منزل ابنته ليضع الهدايا التى اشتراها والتى سيأخذها معه عند سفره إلى أرض الوطن. كان الشيخ فى حاله سيئة من كثرة خوفه على عزيز وما زاد همه هو أن يكون عزيز قد عاودته حالة الهياج والغضب وأن كل ما فعله الكهل الهندى باء بالفشل لكنه استغفر الله وقال اللهم اجعله خيرا وإن شاء الله سأجده .. ربما يكون قد ذهب للفندق الذى نزلنا فيه سابقا وعندما هم بدخول الشقة وجد ثريا وقد وضعت إصبعها على فمها إشارة لأبيها بعدم الكلام حتى لا يسمعه عزيز ويعلم برجوعه حتى يمكنها أن تخبر أباها أولا بما حدث ثم قالت له تكتم يا أبى ما أخبرتك به عن عزيز فى

التليفون وكأنك لا تعلم شيئا حتى نتفادى إحراجه ويندم على تصرفه قال الشيخ لك هذا يا ابنتى وكيف هو الآن قالت فى أحسن حال فاستطرد قائلا أكان به علة أو كان غاضبا أو مجهدا أى شيء من هذا القبيل قالت ابنته لا إنه كان وسيما وجميلا مهذبا وسيخبرك بما يسعد قلبك هيا حتى لا نتركه وحده .. وبسرعة دخل والد ثريا وألقى التحية على عزيز وقال عزيز أهلا يا خال أين كنت فقال اشتريت لك ولثريا هدية هيا افتح معى الهدايا وقل لى ما رأيك فيها . قال عزيز اترك الهدايا الآن أريدك فى شيء قال الشيخ خيرا إن شاء الله .. استطرد عزيز أريد أن أطلب يد ابنتك ثريا لتكون شريكة حياتى فهل فيما تعلم عنى ما يمنعك عن الموافقة .. صرخ الرجل مهللا وقال إنه أسعد يوم فى حياتى فأنا الذى كنت سأخطبك لابنتى ثم قبل عزيز وقال صدق الكهل . والله إنه لرجل واسع العلم فى كل الشئون أتعلم ماذا قال أجاب عزيز لا ومن أين لى أن أعلم ، ابتسم عبد الودود وقال إنه أخبرنى أنك ستكون زوج ابنتى وسأكون جداً لذكور وإناث وقال إنك خير من يصون ثريا وتكتمت أنا الأمر منتظرا أن تتكلم وها أنت أسعدتنى بالخبر إنها أسعد ليلة فى حياتى أن تكون زوج ابنتى فأنتما الاثنان أغلى ما لى والآن سأسأل ثريا عن رأيها وعشمى أن توافق وهنا دخلت ثريا وبيدها القهوة المفضلة لأبيها وقالت أنا موافقة يا أبى لقد فاتحنى عزيز

قبلك وأسعدنى ما قال يكفى أنه صديقك وما فائدة وجود هذه الباقة الجميلة من الزهورالتى أهداها إلى اليوم فهنأها والدها وقبلهما هى وعزيز وقال هيا نسعد جميعا اطلبى سراما وعائلتها وسنستعد لتناول عشاء فخما فى الفندق ونقرأ الفاتحة وبسرعة قال عزيز انتظر يا خال أريد أولا شراء الشبكة لثريا فقالت ثريا سأكتفى بقراءة الفاتحة هنا أما الشبكة والدخلة ستكون فى الجنوب بلد أمى الحبيبة لأسعدها فى مرقدها فقال عزيز لك هذا يا ثريا لكنى لن أتنازل عن العشاء فى الفندق وضحك الجميع وجاءت سراما بعد قليل ، وبدأ الشيخ فى توزيع الهدايا ولم ينس أحدا ورفرفت السعادة على قلب عزيز وثريا وابتسمت لهما الحياة مرة أخرى بالنسبة للحب والارتباط وهدوء البال ومرت أيام قليلة واستعد الجميع للعودة إلى أرض الوطن وجاء اليوم الموعود لرحيل ثريا وخطيبها عزيز ووالدها وكان الوداع قاسيا على قلب ثريا وسراما لكن ما باليد حيلة هكذا الحياة.

عودة

كان وداعا ما بعده وداع من بكاء وشجن ودموع وفى النهاية ما صبرهما هو أنهما تواعدتا على الزيارة دائما وعدم انقطاع الرسائل والاتصالات التلفونية ثم ذهب كل منهما فى طريق الحياة الجديدة وتأبط عزيز ذراع ثريا وعبد الودود إلى باب الطائرة وبعد رحلة طويلة وصلوا إلى أرض الوطن العزيز وترابه الغالى وكانت فرحة ثريا كبيرة ببيتها الجديد والبحيرة والموقع الفريد ونهر النيل الحبيب لقلب لكل المصريين .. تقابل عزيز ووحيد بالأحضان والقبلات والشوق رغم أن مدة الفراق كانت شهرين وبضع أيام لكن حبهما لبعضهما جعل يوم الفراق كأنه شهور ، قدم عزيز كل من عبد الودود وثريا لأخيه وكانت مفاجئة سعيدة لوحيد جعلته يهلل ويقوم ببعض الحركات بيديه وكأنه يضرب عزيز فى صدره تارة وعلى يديه تارة ويصفق تارة وأخذ يقبله عندما علم أن ثريا هى خطيبته وأخذ يثرثر فى دعابة ويقول هكذا إذاً فعلتها أخيرا أيها الراهب فى محراب العزوبية ثم قال لثريا ماذا فعلت بالرجل أيتها

الجميلة قالت ثريا أنا لم أفعل شيئا إنها بركة دعاء أمى ليكون عزيز شريك حياتى فنعم الرجال هو. قهقه وحيد وبخفة دم قال آه لقد تزوجت فيلسوفة وعموما يا أختى العزيزة ثريا ستدخلين موسوعة الأرقام القياسية جينس لأنك حطمتى جسوره وأسواره ودخلتى قلبه المغلق وكان لهذه الكلمات وقع جميل على سمع ثريا لأن معنى ذلك أن عزيز صادق مائة بالمائة بالنسبة لما قال عن نفسه لها . كانت غادة زوجة وحيد تقف باسمة فرحة لكل ما يحدث حول عائلتها الصغيرة الجديدة وقبلت ثريا وقالت لها سنكون أختين متحابتين ونتنافس مع وحيد وعزيز فى إخلاصهما وفجأة ظهرت سيارة والد غادة زوجة وحيد ووالدتها وبعد التعارف الدافئ بين المجموعة عاد الجميع إلى ديارهم فى بهجة وسرور. مر يومان على وجود وحيد وزوجته بالجنوب وكانت فرحة عزيز كبيرة عندما علم أن غادة حامل فى شهرها الثانى ولهذه المناسبة دعا والدها العائلة كلها فى منزله لتناول الغذاء وقضاء اليوم فى عزبته الفخمة المطلة على النهر ورغم أن والد غادة من كبار التجار الأغنياء بالبلد لكن كان متواضعا ومحبوبا من الجميع . كانت العزومة كبيرة والمائدة عليها أنواع كثيرة من الطعام المعد لهذه المناسبة ودارت مناقشات كثيرة أثناء الطعام عن تجارة الأسماك وأوراق البردى والتصدير وتعليب الخضار والمأكولات .

بيت دولت

دار الحديث حول منزل دولت والدة عزيز الذى يقع على الربوة وسألت غادة عزيز لماذا لم تستثمر هذا البيت إن موقعه ممتاز ومساحته رائعة لقد رأيته مرة مع وحيد قال عزيز وما نوع الاستثمار الذى تفضليه فى رأيك قالت غادة فليكن مطعما مثلا أو منتجعا أو مركزا علاجيا أو موتيلا صغيرا فقال عزيز: لا إنى أفكر فى شيء آخر .. قالت ثريا ما رأيكم فى عمل خيرى؟ هلل عزيز قائلاً.. هذا هو ما أفكر فيه ما رأيك يا وحيد قال وحيد إنها فكرة صائبة ولو أنى مع زوجتى غادة نستثمر المكان كمطعم وتكون عمل خير لى وبهذا يكون عمل خيرى لى فقط لأنى أحب الأكل وقهقه كعادته فقال عزيز يا وحيد لا تخلط الحابل بالنابل قالت ثريا : نقيم بيتا للأيتام وكل من يريد أن يكفل يتيما يتقدم للمساعدة ونناشد رجال الأعمال والتجار والقادرين ونشترك جميعا فى تقديم الحب والرعاية والحنان والاحتواءلهم فقد قال صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة وأشار بالسبابة والإبهام. صفق

الجميع وأخذ وحيد يصفر بشفتيه وهم عزيز بتقبيل وجنة ثريا وقال الشيخ عبد الودود الحمد لله وجدت عملا جديدا فى الإدارة وستكون الإدارة تحت إشراف دينى وعلمى وثقافى وسأراعى ربّ فى كل يتيم فى الدار قالوا جميعا أحسنت يا ثريا بارك الله فيك قال وحيد وماذا نسمى الدار نريد اسما له وقع سمعى جميل حب الخير مثلا عن التربية السليمة نهض عزيز وقال سأسميه دار دولت للأيتام وساد الجو قليل من الهدوء والصمت ثم رفع الشيخ عبد الودود يديه وقال سنقرأ الفاتحة لهذه السيدة العظيمة وسيظل بيتها مفتوحا لكل محتاج إرضاء لوجه الله تعالى . هكذا كانت السهرة التى قضوها جميعا فى بيت السيد والد غادة حيث بدأت بأشهى المأكولات وانتهت بأشهى وأعظم عمل رضى عنه الجميع وفى الحال بدأ عزيز سرا فى عمل اللازم لهذا المشروع ورصد له مبلغا كبيرا لتجديده وشراء كل المستلزمات وأعد به مكتبا رائعا كتب على بابه المدير المسئول الأستاذ عبد الودود إبراهيم ولافتة أخرى كتب عليها دار دولت للأيتام ثم ذهب إلى المحامى وحرر عقدا أبرمه ووضعه سرا معه وكان العمل بالدار على قدم وساق وأخذت تتوافد على المكان سيارات الأقمشة وماكينات الخياطة وسيارات الأطعمة وسيارات مصانع البطاطين واللعب وتبرعات من أهالى المنطقة للأيتام كل هذا النشاط والحركة وعزيز لم يتفوه بكلمة لأحد حتى تم

المراد وأصبحت الدار جنة من جنات الله فى أرضه. وأبلغ عزيز الجهات المختصة بيوم افتتاح الدار وعدد الأطفال كما أعلن عن احتياجه لموظفين وعاملات نظافة وطهاة وعمال حدائق ومرب للطيور حتى يعمر المكان بالخير إكراما لذكرى أمه لأنها كانت من هواة تربية الطيور وكتب على باب الحديقة الصغيرة التى تصل لبيت الطيور بالدار حديقة عزيز للطيور إكراما لعم والدته الذى اختار اسمه لنفسه. انتهى عزيز من كل الترتيبات لدار الأيتام وتجهيز بيت الزوجية كما أعدت ثريا نفسها لتنتقل إلى فيلا عزيز وجهزت الملابس اللازمة ثم أعلن عزيز موعد الفرح والزفة وبدأ فى توزيع كروت الدعوة .

الزفة

وجاء الموعد وكان الحفل رائعا وتوافدت أفواج من أنحاء البلد والبلاد المجاورة من أقارب وأصدقاء وتجار وشركاء وهم جميعا فى ملابس السهرة وأعلنت الموسيقى قدوم العروس والعريس ثم صعدوا جميعا إلى المراكب الشراعية التى أعدت خصيصا للزفة من قبل أصدقاء عزيز ووحيد ووالد غادة وأصدقائه ومعارفه ثم خرجت المراكب فاردة أشرعتها البيضاء الجميلة وهى ترفرف مع الهواء العليل فوق سطح النهر بجنوب مصر وصعيدها العظيم وابدأ الصيادون فى التصفيق والرقص والأغانى الجميلة ووقف بعض الشباب على حافة المراكب يتغنوا بأغنية خصيصا لعزيز الذى يملك بعضا منها ، كانت الأغانى تخرج من حناجر الرجال باخلاص صادق وكانت أحب أغنية أعجبت المدعوين والعريس والعروس هى:

هيلا هيلا هيلا

وبقينا كلنا عيلة ، هنزف عزيز الليلة

عزيـــز أبو قلب كبير ، اختار ست الحـلوين

وحبايبه بالمـــلايين ، جايين يهنـوا الليلة

هيـلا هيـلا هيـلا

اتجوز فى الجنوب .. ثريا عبد الودود

حبها ملهوش حدود ..لا طمع فيها ولا قيود

إياك تزعليه أو حتى تكدريه..للنهر يزعل منك

.. ورزقه يبعد عنك .. شرفتى كل العيلة..

هيلا هيلا هيلا

بعـد سـماع هـذه الأغنيـة والتـى كان رتمهـا هـو التصفيـق والطبلـة ممـا أضـاف لهـا طعـم الأغنيـة الفولكلوريـة الأصيلـة بالجنـوب أخـذت المراكـب تلقـى فـوق مـاء النهـر بالـورود والفـل الأبيـض الـذى طفـى عـلى سـطح المـاء فكانـت تتلـألأ تحـت ضـوء القمـر الـذى يسـطع وسـط السـماء الصافيـة فأضفـى متعـة وروعـة ودفء بـين الأصدقـاء الذيـن سـاهموا فى إحيـاء حفـل هـذا الرجـل الشـاب ممـا أسـعده كثـيرا وشـعر ولأول مـرة أن الدنيـا بخـير وأن هـذا الحشـد مـن النـاس الذيـن جـاءوا ليحـضروا حفـل زفافـه هـم عائلتـه

بعدمـا أنهـت المراكـب التـى تـزف العروسـين جولتهـا حول النهـر كان يخيـل للـمارة أن هـذه الزفـة هـى عـرس لملكـة النهـر

oberkandl.com

من كثرة الزغاريد والفرحة والتعاون والحب المتبادل بينهم . رست المراكب بعد ذلك وبدأ الحشد فى النزول إلى البر قاصدين المطعم لتناول الطعام وكان فى انتظارهم مجموعة كبيرة من السفرجية فى ملابسهم المطرزة والعمامة وحزام الوسط المزركش بالألوان الزاهية وابتساماتهم التى تكشف عن أسنان بيضاء ووجه برئ خال من الحقد والحزن وقلوب عامرة بالحب النقى. كان منهم من يحمل صوانيا فضية كبيرة عليها مجموعة من كؤوس مملوءة بالمشروب الخاص بالضيافة والاستقبال وهو الكركديه والتمر وشراب اللوز تحية مبدئية كنوع من التكريم وعلت الموسيقى تعلن حضور عزيز وثريا فى الشرفة وقوبلوا بالنفير والتصفيق والضحك والتهليل وخرج المصورون يلتقطون الصور هنا وهناك ويالها من ليلة أسعدت ثريا الجميلة الحمولة الصبورة وكذلك والدها الشيخ عبد الودود وحبيبها وعريسها وأيضا وحيد الذى قال لعزيز وهو يحتضنه فى ود وحب هكذا إذا يا عزيز زفافك أجمل من زفافى مائة مرة قال عزيز وهو يشد على يده مبتسما أنا الكبير قبله وحيد وقال ستظل أخى الحبيب وكبيرا إلى الأبد .

قال عزيز لثريا والآن قبل العشاء سأقدم لك ثلاث هدايا الأولى وأخرج من جيب الحلة التى يرتديها علبة قطيفة فتحها وفى الحال بهرت ثريا إنه خاتم من الماس سعدت به

كثيرا وبسرعة نهضت وقبلت عزيز وقال عزيز الهدية الثانية يجب أن تغمضى عينيك وتستندى على ذراعى وتسيرى ببطء إلى خارج الحجرة وبعد سبع خطوات افتحى عينيك وفعلا امتثلت ثريا ووالدها يسير خلفها ممتلئة عيناه بدموع الفرحة والسعادة لسعادة ابنته وسعادة عزيز صديقه وفجأة فتح الباب بعد الخطوة السابعة دخلت سراما صديقتها الهندية وتوأم روحها بصحبة زوجها ووالده وفتحت ثريا عينيها وكانت المفاجأة وصرخت صرخة مدوية من شدة فرحتها عندما رأت صديقتها وقالت يا حبيبة قلبى متى جئت وكيف؟ قالت جئنا الآن حجز عزيز التذاكر وأبلغنا بميعاد الفرح وطلب منا أن نتكتم الخبر لتكون مفاجأة وتأخرنا قليلا للزحام الشديد فى الشوارع وها نحن قد وصلنا بسلامة الله ورأينا زفة المراكب فى النهر بعدما تحركت ورغم أنها كانت بعيدة لكننا رأيناها بوضوح وما أروعها من زفة .. قالت ثريا ومن أحضركم من المطار أكان أحد فى انتظاركم قالت سراما نعم سائق الأستاذ عزيز كان فى انتظارنا الذى أسرع بنا لنراك قبل الزفة والآن ما رأيك بهذه المفاجأة .. قالت ثريا إنها أحسن شيء فأنا ليس لى أخت وأنت أختى الوفية وقفت ثريا أمام عزيز وقالت ما رأيت أنبل منك فى حياتى لك فى الدنيا الخير واحترام الناس وحبهم ولك فى الآخرة الجنة ورضا الله سبحانه وتعالى ابتسم لها عزيز وقال والآن المفاجأة الثالثة

يا حبيبتى ثم تقدم نحوها وفتح مجموعة من الأوراق وبدأ يقرأ .. إنه تنازل من السيد سليم ابن السيدة دولت إلى السيدة ثريا عبد الودود إبراهيم عن المنزل الواقع فوق الربوة والذى أصبح بيتا للأيتام وستكون السيدة ثريا هى صاحبة الدار وهذا التنازل قانونى .. كانت فرحة ثريا أكبر من أن تحتمل وقال سليم زوجها لقد كانت فكرتك وأنت أحق بذلك ولم أجد سواك لتكونى أما للأيتام فأنا أرى فيك ثريا ودولت فى آن واحد ورجائى لا تتقاعسى فى رعاية الأطفال وحافظى عليهم وانتقى من يقوموا على خدمتهم بكل حذر. وفجأة صفق الجميع وأخذوا يهنئون العروسين ويباركون زواجهما بمنتهى الحب والإخلاص وقبل عزيز يد ثريا. كانت فرحته بها كبيرة وسعادته لا تقدر دخل الجميع لتناول العشاء الفاخر فى هذا الحفل الجميل وانتهت الحفلة وذهب العريس وعروسه إلى عش الزوجية..

دفء الحياة

بعد مضى عامين كان الشيخ عبد الودود ينظم بعض شجيرات حول البحيرة وكان يحمل فوق ظهره طفلا جميلا يلف ساقية حول وسط الشيخ عبد الودود ويضع يديه حول عنقه ويقول الطفل بعض كلمات مثل بابا وماما والشيخ يردد وراءه وهو فى منتهى السعادة وكان هذا الطفل حفيد عبد الودود ابن ثريا وعزيز وياله من طفل، كان قويا جميلا وله نظرات تنم عن الذكاء وكان محبوبا من جده عبد الودود ووالديه خاصة سليم الذى أغدق عليه حنانا جارفا ليعوض نفسه فيه كما أنه أسماه فارساً لأنه يريده فارسا، فارسا فى كل شيء أما وحيد فإكراما لحبه لأخيه سليم سمى المولود الجديد سليم ليتردد فى البيت الاسمان معا عزيز وسليم الابن الصغير . جلس عزيز بعد الصلاة ممسكا بيده مسبحته ورفع يديه لله قائلا سبحانك ربِّ خلقتنى وعلمتنى وأرضيتنى ونصرتنى وأهديت لى زوجة وأما وحبيبة وأخا أحبه كما لو كان فعلا أخى ووالد زوجتى أب وصديق سبحانك ربّ وفقتني لفعل الخير

وأستغفرك إذا كنت أخطأت وحمدا لله على ما أعطيت.
هكذا كان سليم عزيزا على نفسه وعلى من حوله وشاكرا لله سبحانه وتعالى .

obeikandl.com

الأديبة في سطور

-هديه توفيق نصر عامر

-الشهرة :هدى عامر

-استاذ علاج طبيعي في مستشفيات جامعه القاهره

-صدرت لها :

-روايات :

،هدير ونداء الجسد

،ماسريان

،صائد الأرواح

،شيطان الغضب

obeikandl.com

- **قصص للأطفال :**

الحـوت الابيـض، والطائـر المسـحور، هضبـه الاشـباح والغوريـلا، والطيـور المهاجـره، عائشـه وشـبكه الصيـاد، البحـيره، المسـحوره الحصـان الحكيـم، العجـوز والوليمـه، صرخـات في الفجـر، الارنـب التائـب، الصغـيره والمطـر، العصفـور والطفـل العنيـد ، الفيـل الحزيـن، عائشـه وشـبكه الصيـاد، عيـون الغـزال..

-ديوان وبالحب التقينا

-تحت الطبع :

ثلاث أعمال روائية :

حبيبي انجبته السماء ،أهداب وشيطان،

الدوائر المغلقه.

-تشارك بفاعلية في الأنشطة الأدبية والثقافية

obeikandl.com

الفهرس

المقدمة ٣
التقديم ٥
هروب ٩
الطريق المهجور ١٨
وسط الضباب ٢١
منتهكو الأجساد ٢٧
إنهم حولنا ٣٢
الرجل الغامض ٣٧
من وراء هذه القوة ٥٣
شهوة القتل ٦٤
الوفاء النادر ٧٢
الزيارة ٨٣
الفندق ٩٤
همس الحب ٩٩
الخطبة ١٠٩
عودة ١١٢
بيت دولت ١١٤
الزفة ١١٧
دفء الحياة ١٢٢
الأديبة في سطور ١٢٤

obeikandi.com